الفجر الصادق

عبد الملك القاسم

مصدر هذه المادة:



دار القاسم

مدخل

قال أحمد بن عاصم:
هذه غنيمة باردة، أصلح ما بقي من عمرك،
يغفر لك ما مضى.

المقدمة

الحمد لله غـافر الـذنب وقابل التـوب شديد العقـاب، والصلـاة والسـلام على من بعثه الله رحمة للعالمين.

وبعد:

أقدم للإخـوة القـراء الجـزء الثـامن من سلســلة «أين نحن من هــؤلاء؟!» تحت عنوان: «الفجر الصادق»، وهو زمن مشرق ناصع في حياة المسلم.

إنه فجر صادق، وهل هناك أصـدق ممن صدق الله وصدق في عودته؟

إذا سلك من مسـالك الشـيطان مـدخلاً وأجلب عليه بخيله ورجلـه، تـذكر منتبهًا من الغفلة مستدركًا للتوبة.

إنها إشـــراقات تبـــدد ظلام المعصـــية وتزيل غشاوة الذنب.

فجر تبـــدأ معه رحلة العـــودة إلى الله بقلـوب منكسـرة، ودمـوع منسـكبة وجبـاه

خاضعة... حتى تطأ الأقدام أولى عتبات الآخرة... ورجاء الآية يخاطب شغاف القلوب **﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾**.

وحديث الرسول ﷺ ملء السمع والبصر: «**إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها**».

جعلنا الله ممن إذا أذنب استغفر وإذا زل تاب وثاب ورزقنا الإخلاص في القول والعمل.

عبد الملك بن محمد بن عبد الرحمن القاسم.

بسم الله الرحمن الرحيم

خلق الله الإنسان للطاعة والعبادة، وفتح له باب التوبة والإنابة، يستدرك بها ذنوبه، ويمسح بها تقصيره، ويصلح بها زلاته.

فالتوبة واجبة على الدوام، لأن الإنسان لا يسلم من معصية، ولا يخلو من نقص إنما الخلق يختلفون في المقادير وقد أمر الله -عز وجل- بالتوبة، فقال: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ**﴾ [البقرة: 222].

وفي آيات كثيرة حث على التوبة والرجوع والأوبة...

قال -جل وعلا-: ﴿**وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [النور: 31].

وهذا نبي الهدى والرحمة يقول في الحديث الشريف: «**يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه فإني أتوب إلى**

الله في اليوم مائة مرة»[1].

وقـال ﷺ: «**كـل بـني آدم خـطاء، وخير الخطائين التوابين**»[2].

وانظر إلى عظيم فضل الله -جل وعلا- على التـائب العائد قـال ﷺ: «**التـائب من الذنب كمن لا ذنب له**»[3].

وأبـواب السـماء مشـرعة للتـائبين، مفتوحة للعائدين، فإن هناك من يعرض عن هذه الأبواب.. ويترك هذه الأسباب قـال ﷺ: «**كل أمتي يـدخلون الجنة إلا من أبى** قالوا: يا رسول الله، ومن يـأبى؟ قـال: من أطـاعني دخل الجنة ومن عصـاني فقد أبى»[4].

فهذا الحديث بشـارة لجميع المسـلمين بالجنة إلا صنفًا منهم لا يريد دخولها، لا زهدًا فيها؛ ولكن جهلاً بـالطريق الموصـلة إليها، وتراخيًا وتكاسلاً عن دخولها وتفضيلاً لهـذه

---

1 (?) رواه مسلم.
2 (?) رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم.
3 (?) رواه ابن ماجه والطبراني.
4 (?) رواه البخاري.

المتع الدنيوية الزائلة على تلك النعم الخالدة في الجنة[1].

يا من يـــذنب ولا يتـــوب، كم قد كتبت عليك ذنـــوب خل الأمل الكـــذوب، فـــرب شـــروق بلا غـــروب، وآسـفى أين القلـــوب؟ تفـــرقت بـــالهوى في شـــعوب نـــدعوك إلى صـلاحك ولا تئـــوب واعجبا النـــاس ضـــروب، مـــتى تنتبه لخلاصك أيها النـــاعس؟ مـــتى تطلب الأخـــرى يا من على الـــدنيا تنـــافس؟ متى تذكر وحدتك إذا انفردت عن مـــوآنس؟ يا من قلبه قد قسا وجفنه نـــــاعس، يا من تحدثه الأماني.. دع هذه الوساوس.

وانظر إلى قول الحسن ولعل لنا نصيب منـــه: يـــا ابن آدم تـــرك الخطيئـــة أيســـر من طلب التوبة[2].

إني بليت بأربع يرمينني

بالنبل قد نصبوا علي

إبليس والدنيا ونفسي

[1] (?) واحات الإيمان: 1/125.

[2] (?) الزهد: للإمام أحمد، 242.

من أين أرجو بينهن فكاكا
يا رب ساعدني بعفو إنني
سواكا[1]

قال حميد الطويل لبعض إخوانه: عظني، فقال: يا أخي إذا عصيت وظننت أنه يراك فقد تجرأت على عظيم، ولكن بجهلك تظن أنه لا يراك.

وقال رجل لوهيب بن الورد: عظني؟ فقال: اتق أن يكون الله أهون الناظرين إليك[2].

أخي المسلم: لو لحظك مسئول أو رجل حسبة وأنت تهم بفعل زلة لتوقفت تعد الخطى وتستثقل فعل المعصية، كيف والله –جلا وعلا- يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور؟ مطلع على كل صغيرة وكبيرة. ولكنها قسوة القلوب وفساد النفوس، وما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب والبعد عن الله، وما خلقت

1 (?) التذكرة: 475.
2 (?) جامع العلوم: 195، حلية الأولياء: 8/142.

النـــار إلا لإذابة القلـــوب القاســـية، وأبعد القلوب من الله القلب القاسـي، فـإذا قسا القلب قحطت العين.

أخي الحبيب:

قســـوة القلب من أربعة أشـــياء: إذا جاوزت قـدر الحاجـة: الأكل والنـوم والكلام والمخالطة، كما أن البدن إذا مرض لم ينفع فيه الطعـام والشـراب، فكـذلك القلب إذا مرض بالشهوات لم تنجح فيه المواعظ.

ومن أراد صـفاء قلبه فليـؤثر الله على شـــهوته، فـــالقلوب المتعلقة بالشـــهوات محجوبة عن الله بقـدر تعلقها بهـا، القلـوب آنية الله في أرضـــــــــه، فأحبها إليه أرقها وأصلبها وأصفاها، شغلوا قلوبهم بالدنيا، ولو شـغلوها بالله والـدار الآخـرة لجـالت في معاني كلامه وآياته المشهورة[1].

وذاك الداء وهذا الدواء ولكن:

يا من تمتع بالدنيا وزينتها

ولا تنام عن اللذات عيناه

---

[1] (?) الفوائد: 128.

أفنيتِ عمرك فيما لست تُدركه (1)

كـان الحسن كثـيرًا ما يقـول: يا معشر الشـباب عليكم بـالآخرة فاطلبوهـا، فكثـيرًا رأينا من طلب الآخـــرة فأدركها مع الـــدنيا، وما رأينا أحدًا طلب الدنيا فأدرك الآخرة مع الدنيا[2].

وليس للعبد –يا أخي- مسـتراح إلا تحت شـجرة طـوبى، ولا للمحب قـرار إلا يــوم المزيد، اشتغل به في الحياة يكفك مـا بعـد الموت[3].

تعصي الإله وأنت تظهر حبه
هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقًا لأطعته
إن المحب لمن يحب مطيع[4]

أخي المسلم:

---

1 (?) صفة الصفوة: 2/516.
2 (?) الزهد للبيهقي 9.
3 (?) الفوائد: 9.
4 (?) الزهد للبيهقي: 329.

القلب يمـــرض كما يمـــرض البـــدن وشــفاؤه في التوبة والحميــة، ويصــدأ كما تصــدأ المــرآة وجلاؤه بالــذكر، ويعــرى كما يعرى الجسم وزينته التقوى[1].

فإيــاك والغفلة عمن جعل لحياتك أجلاً، ولأيامك وأنفاسك أمــدًا، ومن كل ما ســواه بد، ولا بد لك منه[2].

ســبحان الله رب العــالمين: لو لم يكن في تـــرك الـــذنوب والمعاصي إلا إقامة المــروءة وصــون العــرض وحفظ الجــاه، وصيانة المال الذي جعله الله قوامًا لمصالح الدنيا والآخرة ومحبة الخلق، وجــواز القــول بينهم، وصلاح المعاش، وراحة البدن، وقــوة القلب، وطيب النفس ونعيم القلب، وانشـــراح الصـــدر، والأمن من مخـــاوف الفساق والفجار، وقلة الهم والغم والحزن، وعز النفس عن احتمال الــذل، وصــون نــور القلب أن تطفئه ظلمة المعصــية، وحصــول

1 (?) الفوائد: 129.
2 (?) الفوائد: 129.

المخرج له مما ضاق على الفساق والفجار، وتيسـير الـرزق عليه من حيث لا يحتسـب، وتيســير ما عسر على أربـــاب الفســوق والمعاصـــي، وتســهيل الطاعـــات عليــه، وتيســير العلم والثنــاء الحسن في النــاس وكــثرة الــدعاء له والحلاوة الــتي يكتســبها وجهــه، والمهابة الــتي تلقى له في قلــوب النـــاس، انتصـــارهم وحميتهم له إذا أوذي وظلم، وذبهم عن عرضه إذا اغتابه مغتـاب، وسـرعة إجابة دعائـه، وزوال الوحشة الـتي بينه وبين اللــه، وقــرب الملائكة منــه، وبعد شياطين الإنس والجن عنه، وتنافس الناس على خدمته وقضـــاء حوائجـــه، وخطبتهم لمودته وصـحبته، وعـدم خوفه من المـوت، بل يفـــرح به لقدومه على ربه ولقائه لـــه، ومصيره إليه، وصغر الـدنيا في قلبـه، وكـبر الآخـرة عنـده، وحرصه على الملك الكبـير، والفوز العظيم فيهـا، وذوق حلاوة الطاعـة، ووجد حلاوة الإيمـان، ودعـاء حملة العـرش ومن حوله من الملائكة له، وفـرح الكـاتبين

به ودعـــاؤهم له كل وقت، والزيـــادة في عقله وفهمه وإيمانه ومعرفتـــه، وحصـــول محبة الله له وإقباله عليــه، وفرحه بتوبتــه، فهذه بعض آثار ترك المعاصي في الدنيا.

أما في الآخـرة: فإنه إذا مــات تلقته الملائكة بالبشــرى من ربه بالجنــة، وبأنه لا خــوف عليه ولا حــزن، وينتقل من ســجن الدنيا وضيقها إلى روضة من ريـاض الجنـة، ينعم فيها إلى يوم القيامة.

فإذا كان يـوم القيامـة كـان النـاس في الحر والعرق، وهـو في ظـل العـرش، فـإذا انصرفوا بين يدي اللـه أخـذ بـه ذات اليمين مع أوليائه المتقين وحزبه المفلحين[1].

يا أيها الغافل جد في

وأنت في لهو وزاد قليل

لو كنت تدري ما تلاقي

لذبت من فيض البكاء

فأخلص التوبة تحظى بها

1 (?) الفوائد: 198 باختصار.

فما بقي في العمر إلا القليل

ولا تنم إن كنت ذا غبطة

فإن قدامك نوم طويل[1]

قـالت عائشـة- رضي الله عنهـا-: أقلـوا الـذنوب، فـإنكم لن تلقـوا الله –عز وجـل- بشيء أفضل من قلة الذنوب.

وقال مورق العجلي: ما وجدت للمؤمن مثلاً إلا مثل رجل في البحر على خشـــــبة فهو يــــــدعو: يا رب يا رب، لعل الله –عز وجل- أن ينجيه[2].

ولهـذا الأمر ومن شـدة الخـوف وطمعًا في ما عند الله.

كان الرسول سيد الكـل، ثم أنه قـام حتى ورمت قدماه..

وكـان أبو بكر –رضي الله عنـه- شـجي النشيج[3].

وكـــان في خد عمر –رضي الله عنـــه-

---

1 (?) الزهر الفائح: 19.

2 (?) حلية الأوليـاء: 2/235، صـفة الصـفوة: 3/250.

3 (?) يبكي بكاء مؤثرًا تنقطع له النفس.

خطان من آثار الدموع.

وكـان عثمـان –رضي الله عنـه- يختم القرآن في ركعة.

وكان علي -رضي الله عنه- يبكي بالليل في محرابه حـــتى تخضل لحيته بالـــدموع ويقول: يا دنيا غري غيري!

وكـــان ســـعيد بن المســـيب ملازمًا للمسجد فلم تفته صـلاة في جماعة أربعين سنة[1].

فيا أخي الكـريم اطلب قلبـك في ثلاثـة مواطن: عند سـماع القـرآن ،وفي مجـالس الذكر، وفي أوقـات الخلـوة، فـإن لم تجـده في هذه المواطن فسل الله أن يمن عليـك بقلب فإنه لا قلب لك[2].

فحيهلا إن كنت ذا همة

حدا بك حادي الشوق فاطو

يا من عزم على السفر إلى الله والـدار الآخرة، قد رفع لـك علم، فشـمر إليـه فقـد أمكن التشمير واجعـل سـيرك بين مطالعـة

---

1 (?) صيد الخاطر: 106.

2 (?) الفوائد: 195.

منتـــه ومشـــاهدة عيب النفس والعمـــل والتقصير[1].

اتخذ طاعة الإله سبيلا

تجد الفوز بالجنان وتنجو

واترك الإثم والفواحش طرًا

يؤتك الله ما تروم وترجو[2]

قال يحيى بن معاذ: من أعظم الاغـترار عندي.. التمادي في الذنوب مع رجاء العفـو من غير ندامة، وتوقع القرب من الله تعالى بغير طاعة، وانتظار زرع الجنـة ببـذر النـار، وطلب دار المطيعين بالمعاصـي، وانتظـار الجزاء بغير عمل، والتمـني على اللـه –عـز وجل- مع الإفراط.

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها

إن السفينة لا تجري على اليبس[3]

قال يحيى بن معـاذ –رضـي اللـه عنـه-: من أحب الجنة انقطـع عن الشـهوات، ومن

1 (?) عدة الصابرين: 338.
2 (?) طبقات الحنابلة: 4/177.
3 (?) تزكية النفوس: 114.

خاف النار انصرف عن السيئات ونحن في غفلة.. ونجانب باب التوبة، حالنا كما قال الحسن عندما سأله رجل: يا أبا سعيد: كيف أصبحت؟، قال: بخير، قال: كيف حالك؟ فتبسم الحسن وقال: تسألني عن حالي؟ ما ظنك بناس ركبوا سفينة حتى توسطوا البحر، فانكسرت سفينتهم، فتعلق كل إنسان منهم بخشبة علي أي حال يكون؟ قال الرجل: على حالٍ شديدة، قال الحسن: حالي أشد من حالتهم[1].

عيني هلا تبكيان على
تناثر عمري من يدي ولا
أنت في غفلة وقلبك
هي[2]

أخي... أهل الجهال من آثر عاجلاً على آجل، لا يأمن سوء مغبته، فكم قد سمعنا عن سلطان وأمير وصاحب مال أطلق نفسه في شهواتها، ولم ينظر في حلال

1 (?) الإحياء: 4/197.
2 (?) مكاشفة القلوب: 34.

وحـرام، فـنزل به من النـدم وقت المـوت أضعاف ما التـذ، ولقي من مرير الحسـرات ما لا يقاومه ولا ذرة من كل لـذة، ولو كـان هـــذا فحسب لكفى حزنًـــا، كيف والجـــزاء الدائم بين يديه؟

فالـدنيا محبوبة للطبع لا ريب في ذلـك، ولا أنكر على طالبها ومؤثر شــهواتها، ولكن ينبغي له أن ينظر في كســـــبها ويعلم وجه أخذها، لتسـلم له عاقبة لذتـه، وإلا فلا خـير في لذة من بعدها النار.

وهل عد في العقلاء قط من قيل لـــــه: اجلس في المملكة ســـــنة ثم نقتلـــــك؟ هيهــات بل الأمر بــالعكس، وهو أن العاقل من صــابر مــرارة الجهد ســنة بل ســنين ليستريح في عاقبته[1].

قال **الحسن**: والله مـا صـدق عبـد بالنـار إلا ضـاقت عليه الأرض بمـا رحبت، وإن المنـافق لـو كـانت النـار خلـف هـذا الحائط لم يصدق بها حتى يتجهم عليها.

تصل الذنوب إلى الذنوب

[1] (?) صيد الخاطر: 239.

درج الجنان لدى النعيم الخالد
ولقد علمنا أخرج الأبوين واحد[1]

ونحن نسير في هذه الدنيا.. لا نــرى لها نهاية ولا للحياة توقف حــتى يفجأنا أمر الله وقدره... نؤخر التوبة... ونؤجل العمل...

قـــال **الحسن البصــــري**: إن قومًا ألهتهم أمــاني المغفــرة حــتى خرجــوا من الدنيا بغير توبـة، يقـول أحـدهم: إني أحسن الظن بربي وكذب، لو أحسن الظن لأحسن العمل[2].

وقــال **الربيع بن خــثيم** لأصــحابه: تدرون ما الداء والدواء والشفاء؟ قــالوا: لا، قــال: الــداء الــذنوب، والــدواء الاســتغفار، والشفاء أن تتوب فلا تعود[3].

وحــال الكثــير منا اليــوم كما قــال عنه أحمد بن حــرب: إن أحـدنا يـؤثر الظل على

---

1 (?) الجواب الكافي: 142.
2 (?) الجواب الكافي: 3.
3 (?) صفة الصفوة.

الشمس، ثم لا يؤثر الجنة على النار[1].

نعـرف اليـوم القـائض من المعتـدل والبـارد من الحـار.. ونشـكو إلى بعض من حر هذا اليـوم وشـدته، رغم أننا تحت ظلال وارفـة، ومكيفـات بـاردة، ولا نفكر في نـار حرها شديد وقعرها بعيد، وها هو باب التوبة مشرع الأركان فأين نحن منه؟!

يقـول **إبـراهيم بن أدهم**: من أراد التوبة فليخرج من المظالم، وليـدع مخالطة الناس، وإلا لم ينل ما يريد[2].

وحـذر **أبو الوفـاء بن عقيل** بقولـه: احـذر ولا تغـتر، فإنه قطع اليد في ثلاثة دراهم، وجلد الحد في مثل رأس الإبرة من الخمـر، وقد دخلت امـرأة النـار في هـرة، واشـتعلت الشـملة نـارًا على من غلها وقد قتل شهيدًا[3].

فلنسابق أخي إلى التوبة والأوبة... باب مفتـوح مشـرع لا يردنا حـاجب ولا يقصـينا

---

1 (?) الإحياء: 4/568.
2 (?) السير: 7/389.
3 (?) الجواب الكافي: 69.

طلب، بل يفـرح الله بتوبة أحـدنا. ويتجـاوز عن سيئاته.

قـال **أبو بكر بن عبد الله المـزني**: من مثلك يا ابن آدم؟ خلي بينك وبين المحـراب والمـاء، كلما شـئت دخلت على الله -عز وجل- ليس بينك وبينه ترجمان[1].

أخي.. اعلم أن الجـــزاء بالمرصـــاد إن كانت حسنة أو كانت سيئة ومن الاغترار أن يظن المــذنب إذا لم يــر عقوبــة أنــه قــد سومح، وربما جاءت العقوبة بعد مدة[2].

خل الذنوب صغيرها

وكبيرها فهو التقى

واصنع كماش فوق أرض

الشوك يحذر ما يرى

لا تحقرن صغيرة

إن الجبال من الحصى[3]

قال **أبو حازم سلمة بن دينار**: قاتل

---

1 (?) صفة الصفوة: 3/249.

2 (?) صيج الخاطر: 593.

3 (?) جامع العلوم والحكم: 192.

هواك أشد مما تقاتل عدوك[1].

أخي التائب:

الشــرك والكــذب والريــاء شــجرة في القلب ثمرها في الدنيا الخوف والهم والغم وضــيق الصــدر وظلمة القلب، وثمرها في الآخرة الزقوم والعذاب المقيم[2].

فسارع أخي بخطى العزيمة.. وارفع نفسـك الكريمـة..

فإنها نفس كالطفل تقبل وتدبر وتعصي وتطيع.

والنفس كالطفل إن

حب الرضاع وإن تفطمه

إن ترك الشهوات لله... وإن أنجى من عــذاب الله وأوجب الفــوز برحمته فــذخائر الله وكنــوز الــبر ولــذة الأنس والشــوق إليه والفرح والابتهاج بـه، لا تحصل في قلب فيه غــيره، وإن كــان من أهل العبــادة والزهد والعلم، فــإن الله ســبحانه أبى أن يجعل ذخـائره في قلب فيه سـواه، وهمته متعلقة بغــيره، وإنما يــودع ذخـائره في قلب يـرى الفقر غنى مع الله، والغنى فقرًا دون اللــه،

[1] (?) حلية الأولياء: 3/231.
[2] (?) الفوائد: 215.

والعز ذلاً دونـه، والـذل عـزًا معـه، والنعيم عذابًا دونه، والعذاب نعيمًا معه[1].

عن **طلق بن حـبيب** قـال: إن حقـوق الله أعظم من أن يقـوم بها العبـاد وإن نعم الله أكـــثر من أن تحصى ولكن أصـــبحوا تائبين، وأمسوا تائبين[2].

وقال **بشر**: لو تفكر الناس في عظمــة الله، ما عصوا الله عز وجل[3].

فوا عجبًا كيف يعصى الإله
أم كيف يجحده جاحدُ؟
ولله في كل تحريكة
وتسكينة أبدًا شاهد
وفي كل شيء له آية
تدل على أنه واحد[4]

كان **وهب بن الـورد** يقـول: خف الله على قــدر قدرته عليك واســتحي منه على قدر قربه منك.

---

1 (?) الفوائد: 252.
2 (?) السير: 4/602.
3 (?) الإحياء: 4/451.
4 (?) مفتاح دار السعادة 1/225.

أخي المـذنب -وكلنا كـذلك-، قـال هلال بن سـعد: لا تنظر إلى صـغر الخطيئة ولكن انظر إلى من عصيت[1].

إنه الله الواحد الأحد مدبر الكون خالق كل شيء.

يا من يرى مد البعوض جناحها
في ظلمة الليل البهيم الأليل
ويرى مناط عروقها في نحرها
النحل[2]

سـبحان الله الـذي خلق كل شـيء فقـدره تقـديرًا... لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السـماء... خلق كل شـيء وأحصى كل شيء.

قـال **مطرف**: من أحب أن يعلم ما له عند الله فلينظر ما لله عنده.

وكان **الحسن بن عبد العزيز** يقـول: من لم يردعه القرآن والموت، فلو تناطحت الجبال بين يديه لم يرتدع[3].

وتأمـل أخي الحـبيب في قـول **ابن**

1 (?) الجواب الكافي: 95.
2 (?) شذرات الذهب: 4/121.
3 (?) طبقات الحنابلة: 1/135.

عباس: خوفك من الـريح إذا حـركت سـتر بابك وأنت على الذنب ولا يضطرب فـؤادك من نظـر اللـه إليـك، أعظم من الـذنب إذا فعلته[1].

إذا ما خلوت الدهر يومًا فلا تقل
خلوت ولكن قل علي رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة
ولا أن ما تخفيه عنه يغيب
ألم تر أن اليوم أسرع ذاهبًا
وأن غدًا للناظرين قريب[2]

قـال **الحسن**: إن المـؤمن قـوام على نفسه يحاسب نفسه لله –عز وجـــل- وإنما خف الحســـاب يـــوم القيامة على قـــوم حاســـبوا أنفســـهم في الـــدنيا، وإنما شق الحساب يوم القيامة على قـوم أخـذوا هـذا الأمر من غـير محاسـبة، إن المـؤمن يفجؤ الشـيء يعجبه فيقـول: والله إني لأشـتهيك وإنك لمن حـاجتي ولكن والله ما من صـلة

1 (?) جامع العلوم والحكم: 43.
2 (?) الإحياء: 4/422.

إليــك، هيهــات هيهــات، حيل بيــني وبينــك، ويفـــرط منه الشـــيء فـــيرجع إلى نفسه فيقــول: ما أردت إلى هــذا مــالي ولهــذا؟ والله لا أعــود لهــذا أبــدًا إن شــاء اللــه، إن المؤمنين قــوم أوثقهم القــرآن وحــال بينهم وبين هلكتهم، إن المــؤمن أســير في الــدنيا يسعى في فكاك رقبته، لا يأمن شــيئًا حــتى يلقى الله –عز وجــل- يعلم أنه مــأخوذ عليه في سمعه وبصره ولسانه وجوارحه[1].

ولو تفكرنا في ذلك وأنزلنا أنفســـــــنا موقف الحســـاب لعملنا ولتبنا إلى الله –عز وجل- فنحن في زمن التوبــة... وفي طريق الأوبة في دار أفسح الله لنا فيها أفلا نعـــود من قريب؟!

قـال **وهب بن منبه**: ما طـالت فكـرة امرئ قط إلا علم وما علم امــرؤ قــط... إلا عمل[2].

فلتكن أخي من أهل العمـــــل، ولا تكن من أهل الأمـــل.. فـــإن أعجب العجـــائب

1 (?) صفة الصفوة: 3/234
2 (?) الإحياء: 4/451.

سرورك بغـرورك، وسـهوك في لهـوك عما قد خـبئ لـك، تغـتر بصـحتك، وتنسى دنو السـقم، وتفـرح بعافيتك غـافلاً عن قـرب الألم، لقد أراك مصرع غيرك، وأبدى مضجع سواك قبل الممات مضجعك[1].

هـذا **شميط بن عجلان**: في نـداءات خالصة ينادي... أيها المغتر بطـول صـحتك! أما رأيت ميتًا قط من غـــير ســـقم؟ أيها المغتر بطول المهلة! أما رأيت مـأخوذًا قط من غير عدة؟ أبالصحة تغترون؟! أم بطـول العافية تمرحـون؟! أم بـالموت تمـنئون؟ أم على ملك تجرئون؟

إن الموت إذا جـاء لم يمنعه منك ثـروة مالـك، ولا كـثرة احتشـادك، أما علمت أن سـاعة المـوت: ذات كـرب شـديد، وندامة على التفريط؟ رحم الله عبدًا عمل لسـاعة المـــوت، رحم الله عبـــدًا عمل لما بعد المـــوت، رحم الله عبـــدًا نظر لنفسه قبل نزول الموت[2].

---

1 (?) صيد الخاطر: 26.

2 (?) صفة الصفوة: 3/347.

أخي إن من علامــات الســعادة والفلاح أن العبد كلما زيد في علمه زيد في تواضعه ورحمتـه، وكلما زيد في عملـه، زيد في خوفه وحـــذره، وكلما زيد في عمـــره نقص من حرصــه، وكلما زيد في مالــه، زيد في ســخائه وبذلـــه، وكلما زيد في قـــدره وجاهــه، زيد في قربه من النــاس، وقضــاء حوائجهم، والتواضع لهم.

وعلامـــات الشـــقاوة: أنه كلما زيد في علمــه، زيد في كـبره وتيهـه، وكلما زيد في عمله زيد في فخـــره، واحتقـــاره للنـــاس، وحسن ظنه بنفسه وكلما زيد في عمـــره، زيد في حرصه وكلما زيد في ماله، زيد في بخله وحرصه، وكلما زيد في قـدره وجاهـه، زيد في كبره وتيهه.

وهذه الأمـور: ابتلاء من اللـه، وامتحـان يبتلي بها عباده، فيسـعد بها أقـوام ويشـقى بها أقوام[1].

فــانظر أين أنت؟ وأين موضع قــدمك؟ واسمع وصية الإمـام مالك وهو يوصي رجلاً

1 (?) الفوائد: 201.

قـــال: إذا هممت بـــأمر في طاعة الله فلا تحسـبه إن اسـتطعت فواقًا حـتى تمضـيه، فإنك لا تـأمن الأحـداث، فـإذا هممت بغـير ذلك، فـإن اسـتطعت أن لا تمضـيه فافعـل، لعل الله يحـدث لك تركـه، ولا تسـتحي إذا دعيت لأمر ليس بحق، أن تقـول: قـال الله تعالى في كتابـه: «**والله لا يسـتحي من الحـــق**». وطهر ثيابـــك، ونقها عن معاصي الله؛ وعليك بمعالي الأمـور وكرائمهـا، واتق رذائلها وما سفسف منهـــا، فـــإن الله يحب معـالي الأخلاق، ويكــره سفاسـفها، وأكـثر تلاوة القـــــرآن، واجتهد أن لا تـــأتي عليك ساعة من ليل أو نهار، إلا ولسانك رطبًا من ذكر اللـــه، ولا تمكن النـــاس من نفســـك، واذهب حيث شئت[1].

وقـد قـال **عمر بن عبـد العزيـز** في خطبتـــه: إن لكـــل ســـفر زادًا لا محالـــة، فـــتزودوا لسـفركم من الـدنيا إلى الآخـرة بالتقوى، وكونوا كمن عاين ما أعد اللـه من ثوابـه وعقابـه، ترغبـوا وترهبـوا ولا يطـولن

[1] (?) ترتيب المدارك: 1/187.

عليكم الأمــد فتقســو قلــوبكم وتنقــادوا لعـدوكم، فإنـه واللـه مـا بسـط أمـل من لا يدري لعله لا يصبح بعـد مسـائه، ولا يمسـي بعد صباحه، وربما كـانت بين ذلـك خطفـات المنايـا، وكم رأيت، ورأيتم من كـان بالـدنيا مغترًا، وإنما تقر عين من وثـق بالنجـاة من عـذاب اللـه تعـالى، وإنمـا يفـرح من أمن أهـوال القيامـة فأمـا من لا يـداوي كلمـا إلا أصــابه جــرح من ناحيــة أخــرى... فكيــف يفرح؟[1].

نموت ونبلى غير أن

إذا نحن متنا لا تموت ولا

ألا رب عينين لا تنفعانه

وما تنفع العينان من قلبه

أخي التائب:

احــذر نفســك، فما أصــابك بلاء قط إلا منها، ولا تهادنها، فو اللــه، ما أكرمها من لم يهنها، ولا أعزها من لم يذلها، ولا جبرها من لم يكســـرها، ولا أراحها من لم يتعبهــا، ولا

1 (?) الإحياء: 4/483.

أمنها من لم يخوفهـــــــــا، ولا فرحها من لم يحزنها[1].

قـال أبو بكر بن عيـاش: قـال لي رجل مرة، وأنا شـاب: خلص رقبتك ما اسـتطعت في الدنيا من رق الآخرة، فإن أسير الآخـرة غير مفكوك أبدًا[2].

أخي التـائب: وأنت تسـير في ركـاب التـائبين... تحط رحالك -إن شـاء اللـه- في جنات عـدن.. لا تلتفت إلى نزعـات الهـوى، ولا تــتردد مع وســاوس الشــيطان، وعليك بلزوم الجادة، تنجو وتسلم.

قـال **الحسن**: ابن آدم! إنك نـاظر غـدًا إلى عملك، يوزن خيره وشــره، فلا تحقــرن شيئًا من الشر أن تتقيه، فإنك إذا رأيته غـدًا في ميزانك سرك مكانه[3].

وجهـاد النفس -يـا أخي- جهـاد طويـل، وطريــق محفــوف بالمكــاره مذاقــه مــر

1 (?) الفوائد: 90.

2 (?) صفة الصفوة: 3/164.

3 (?) البداية والنهاية: 9/307.

وملمسه خشن ولكن لا تكن من الذين وصفهم يحيى بن معاذ بقوله: مسكين ابن آدم قلع الأحجار أهون عليه من ترك الأوزار[1].

يا مدمن الذنب أما

والله في الخلوة ثانيكا؟

غرك من ربك إمهاله

وستره طول مساويكا[2]

قال **حاتم الأصم**: من خلا قلبه من ذكر أربعة أخطار فهو مغتر لا يأمن الشقاء:

الأول: خطر يوم الميثاق حين قال: هؤلاء في الجنة ولا أبالي، وهؤلاء في النار ولا أبالي، فلا يعلم في أي الفريقين كان؟!

الثاني: حين خلق في ظلمات ثلاث، فنادى الملك: بالشقاوة والسعادة، ولا يدري أمن الأشقياء هو أم من السعداء؟!

الثالث: ذكر هول المطالع، فلا يدري أيبشر برضا الله أم بسخطه؟!

---

1 (?) السير: 13/15.

2 (?) جامع العلوم والحكم: 196.

الرابع: يـوم يصـدر النـاس أشـتاتًا، فلا يدري أي الطريقين يسلك به[2]؟!.

أخي الحبيب:

لا تحسبن سرورًا دائمًا أبدًا
من سره زمن ساءته أزمان

لا تغتر بشباب آنف خضل
فكم تقدم قبل الشيب شبان

ويا أخا الشيب لو ناصحت نفسك لم
لم يكن لمثلك في اللذات إمعان

كان الحسن بن يسار كثيرًا ما يقـول: يا ابن آدم! نطفة بـالأمس وجيفة غـدًا، والبلى فيما بين ذلك، يمسح جبينك كأن الأمر يعني به غـــيرك، إن الصـــحيح من لم تمرضه الـــذنوب، وإن الطـــاهر من لم تنجسه الخطايا، وإن أكثركم ذكـرًا للآخـرة أنسـاكم للـدنيا، وإن أنسى النـاس للآخـرة أكـثركم ذكرًا للدنيا.

وإن أهل العبـادة من أمسك نفسه عن الشـر، وإن البصـير من أبصر الحـرام فلم

---

2 (?) جامع العلوم والحكم: 71.

يقربــه، وإن العاقل من يــذكر يــوم القيامة ولم ينس الحساب[1].

أخي... علم أربــاب القلــوب: أن الــدنيا مزرعة الآخرة، والقلب كـالأرض، والإيمـان: كالبذر فيـه، والطاعـات جارية مجـرى تنقية الأرض وتطهيرهــا، ومجــرى حفر الأنهــار، ومساقي الماء إليها وأن القلب المســتغرق بالدنيا: كـالأرض السـبخة، الـتي لا ينمو فيها البــذر، ويــوم القيامة هو يــوم الحصــاد، ولا يحصد أحد إلا ما زرع، ولا ينمو زرع إلا من بذر الإيمان[2].

وانظر إلى: تقســـيم الهمم، ومقـــدار العــزائم... قــال محمد بن الســماك: همة العاقل في النجــاة، والهــرب وهمة الأحمق في: اللهو، والطرب[3].

وأعجب الأشـــياء اغـــترار الإنســـان بالسـلامة وتأميله الإصـلاح فيما بعـد، وليس

---

1 (?) الزهد للبيهقي: 94.

2 (?) منهاج القاصدين: 2.

3 (?) حلية الأولياء: 8/204.

لهذا الأمل منتهى، ولا للاغترار حد.

فكلما أصـــــبح وأمسى معـــــافى، زاد الاغترار وطال الأمـل، وأي موعظة أبلغ من أن تـرى: ديـار الأقـران، وأحـوال الإخـوان، وقبـــور المحبـــوبين، فتعلم أنك بعد أيـــام مثلهم، ثم لا يقع انتباه حتى ينتبه الغير بــك، هذا والله شأن الحمقى...

حشا من له عقل أن يســـــلك هـــــذا المسلك.

بلى والله إن العاقل ليبـــادر الســـلامة، فيدخر من زمنها للزمن، ويتزود عند القدرة على الزاد لوقت العسرة.

خصوصًا لمن قد علم أن مراتب الآخرة إنما تعلو بمقـــــدار علو العمل لهـــــا، وأن التدارك بعد الفوت لا يمكن.

وقدر أن العاص عفي عنه، أينال مراتب العمال؟

ومن أجـــال على خـــاطره ذكر الجنـــة، التي لا موت فيهـا، ولا مـرض، ولا نـوم، ولا غم، بل لـــذاتها متصـــلة من غـــير انقطـــاع، وزيادتها على قدر زيادة الجد ههنا انتبه هـذا

الزمان، فلم ينم إلا ضــرورة، ولم يغفل عن عمارة لحظة.

ومن رأى أن ذنبًــا قــد مضــت لذتــه، وبقيت آفاتـه دائمـة، كفـاه ذلـك زاجـرًا عن مثله[1].

ملاك الأمر تقوى الله فأعلم
تقاه عدة لصلاح أمرك

وبادر نحو طاعته بعزم
بعمرك[2]

عن **الحسن** قـال: يا ابن آدم! إذا رأيت الناس في خـير فنافسـهم فيـه، وإذا رأيتهم في هلكة فذرهم وما اختـاروا لأنفسـهم، قد رأينا أقوامًا آثـروا عـاجلتهم على عـاقبتهم، فذلوا وهلكوا[3].

أخي التائب: نادى منادي الإيمـان: **﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُــوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآَمِنُــوا بِــهِ يَغْفِـرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُـوبِكُمْ وَيُجِـرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾** [الأحقاف: 31].

---

1 (?) صيد الخاطر: 427.
2 (?) جنة الرضا: 1/141.
3 (?) حلية الأولياء: 2/157.

أسـمع والله لو صـادف آذانًا واعيـة، وتبصر لو صـادف قلوبًا من الفسـاد خاليـة، لكن عصـفت على القلـوب هـذه الأهـواء؛ فأطفـأت مصـابيحها، وتمكنت في آراء الرجـال، فـأغلقت وأضـاعت مفاتيحهـا، ران عليها كسـبها، فلم تجد حقـائق القـرآن إليها منفـذًا وتحكمت فيها أسـقام الجهـل، فلم تنتفع معها بصالح العمل[1].

كتب **الحسن** إلى فرقـد... **أمـا بعـد:** فإني أوصيك بتقوى الله، والعمل بما علمك الله، والاستعداد لما وعد الله، ممـا لا حيلـة لأحد في دفعه، ولا تنفـع النـدم عنـد نزولـه، فأحسر عن رأسك قناع الغافلين، وانتبه من رقدة الجاهلين، وشمر السـاق، فـإن الـدنيا ميدان مسابقة، الغاية: الجنة أو النـار، فـإن لي ولك من الله مقامًا، يسألني وإياك عنه: وسـاوس الصـدر، ولحـظ العيـون، وإصـغاء الإسماع، وما أعجز عنه[2].

---

1 (?) مدارج مدارج السالكين: 1/7.
2 (?) البداية والنهاية: 9/302.

اليوم تفعل ما تشاء
وغدًا تموت وترفع الأقلام

أخي التائب:

إن أصـــــول المعاصي كلهـــــا، كبارها وصغارها، ثلاثة:

تعلق القلب بغير الله.

وطاعة القوة الغضبية.

والقوة الشهوانية.

وهي: الشرك، والظلم، والفواحش.

فغاية التعلق بغـــير اللـــه: شـــرك، وأن يـــدعى معه إله آخـــر، وغاية طاعة القـــوة الغضـــــبية: القتـــــل، وغاية طاعة القـــــوة الشهوانية: الزنى.

ولهـذا جمع الله سـبحانه بين الثلاثة في قولـه: **﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَـعَ اللَّهِ إِلَهًا آَخَـرَ وَلَا يَقْتُلُـونَ النَّفْسَ الَّتِي حَـرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾**[1].

قال **ابن عباس**: يا صـاحب الـذنب! لا تـأمن فتنة الـذنب، وســوء عاقبة الــذنب،

---

[1] (?) الفوائد: 106.

ولتتبعك الذنب أعظم من الذنب إذا عملته.

أخي الحـــــــــبيب... أين نحن من هؤلاء...؟

قال بنـدار يتحـدث عن يحـيى القطـان: اختلفت إليه عشـــرين ســـنة، فما أظن أنه عصى الله قط[1].

وقـال **عـون بن عبد الله** يحـذرنا من طـــول الأمـــل: ما أحد يـــنزل المـــوت حق منزلتـه، إلا عد غـدًا ليس من أجلـه، كم من مســـتقبل يومًا لا يســـتكمله، وراج غـــدًا لا يبلغـــه، لو تنظـــرون إلى الأجل ومســـيره، لأبغضتم الأمل وغروره[2].

أخي المذنب -وكلنا كذلك-.. هيا نسـارع إلى جنة عرضها السموات والأرض فيها: ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطـر على قلب بشر.. **﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَـأْتِيَ أَحَـدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُـولَ رَبِّ لَـوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَـــلٍ قَـــرِيبٍ فَأَصَّـــدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ**

[1] (?) تذكرة الحفاظ: 1/299.
[2] (?) حلية الأولياء: 4/243.

الصَّالِحِينَ [المنافقون: 10].

هبك عمرت مثل ما

ثم لاقيت كل ذلك يسارا

هل من الموت -لا أبا

صارا[1]

إن الحزن على الدنيا طويل، والموت في الإنسان قريب، وللنقص في كل يوم منه نصيب، وللبلاء في الجسم دبيب، فبادر قبل أن تنادى بالرحيل[2].

قال العلماء: تذكر الموت يردع عن المعاصي، ويلين القلب القاسي، ويذهب الفرح بالدينا، ويهون مصائب فيها[3].

قل للمفرط يستعد

ما من ورود الموت بد[4]

قال **ابن الجوزي**: تأملت وقع المعاصي من العصاة، فوجدتهم لا يقصدون العصيان، وإنما يقصدون موافقة هواهم،

---

1 (?) السير: 10/233.
2 (?) الإحياء: 4/483.
3 (?) التذكرة: 13.
4 (?) التبصرة: 1/70.

فوقع العصيان تبعًا.

فنظـرت في سـبب ذلـك الإقـدام مـع العلم بوقـوع المخالفـة؛ فـإذا بـه ملاحظتهم لكـرم الخـالق، وفضـله الزاخـر، ولـو أنهم تـأملوا عظمتـه وهيبتـه، مـا انبسـطت كـف بمخالفته[1].

يا أيها المذنب المحصي جرائمه
لا تنس ذنبك واذكر منه ما سلفا
وتب إلى الله قبل الموت وانزع عن
معترفًا[2]

قـال رجل **لـداود الطـائي**: أوصـني، قـال: اتق اللـه، وبر والـديك، ويحـك... صم الـــدنيا، واجعل فطـــرك المـــوت، واجتنب الناس[3].

وكان **زياد بن جرير** يقول: تجهـزتهم؟ فسـمعه رجـل يقـوم: مـا يعـني لـه بقولـه تجهـــزتم؟ فيقـــول: تجهـــزتم للقـــاء اللـــه

1 (?) صيد الخاطر: 285.
2 (?) مكاشفة القلوب: 91.
3 (?) السير: 7/424.

تعالى[1].

ألا أيها المغرور ما لك تلعب
تؤمل آمالاً وموتك أقرب

قال **أويس القرني** -رضي الله عنه- لبعض إخوانه: يا أخي: إذا نمت، فاذكر الموت، واجعله أمامك. وإذا قمت، فلا تنظر لصغر ذنبك، ولكن انظر إلى من عصيت.

أخي الحبيب:

الهمة العالية: من استعد صاحبها للقاء الرب -جل وعلا-..

سلك الطريق وأظمأ الهواجر.. وقام من الليل.. فإنها لحظات قادمة وآجال محدودة... وانظر يمنة ويسرة، لترى أين ذهب ذلك الفتى؟ وماذا أصابه؟ ومن فاجأه؟!

بينما الفتى مرح الخطا فرح بما
يسعى له إذ قيل: قد مرض الفتى
إذ قيل: بات ليلة ما نامها
إذ قيل: أصبح مثخنًا ما يرتجى
إذ قيل: أصبح شاخصًا وموجهًا
قضى[2]

---

[1] (?) حلية الأولياء: 4/197.

عن **الحسن** قـال: ابن آدم.. السـكين تحد، والكبش يعلف.. والتنور يسجر(1).

فينبغي لك ذي لب وفطنة أن يحـذر عـواقب المعاصـي، فإنه ليس بين الآدمي وبين الله تعـالى قرابة ولا رحم، وإنما هو قائم بالقسط حاكم بالعدل، وإن كـان حلمه يسع الذنوب، إلا أنه إذا شـاء عفـا، فعفا كل كـثيف من الـذنوب، وإذا شـاء أخذ وأخذ باليسير.. فالحذر الحذر(2).

وكان **الحسن** يقول: رحم الله رجلاً لم يغره كثرة ما يرى من كثرة الناس..

ابن آدم! إنك تمـوت وحـدك، وتـدخل القـبر وحـدك، وتبعث وحـدك، وتحاسب وحدك(3).

وقال **عبد الله بن سميط**: سمعت أبي يقول: أيها المغتر بطـول صحته ! أمـا رأيت ميتًا قط من غـير سـقم؟ أيهـا المغتر

---

2 (?) التذكرة: 22.

1 (?) السير: 4/586.

2 (?) صيد الخاطر: 185.

3 (?) حلية الأولياء: 2/155.

بطـول المهلـة! أمـا رأيت مـأخوذًا قـط من غير عدة[1]؟

وما هي إلا ليلة بعد ليلة
ويوم إلى يوم وشهر إلى
مطايا يقربن الجديد إلى
القبر[2]

وحين سأل رجل **عبد العزيز بن أبي رواد**: كيف أصـبحت؟ قـال: أصـبحت والله في غفلة عظيمة عن المـــوت، مع ذنـــوب كثـيرة قد أحـاطت بي... راحل يســرع كل يوم في عمر... ومؤمل لست أدري على ما أهجم... ثم بكى[3].

أخي الحبيب:

ترجو البقاء بدار لا ثبات
منتقل؟[4]

فـالواجب على العقـال أن يحــذر مغبة

---

1 (?) الإحياء: 4/483.
2 (?) عقود اللؤلؤ والمرجان: 216.
3 (?) حلية الأولياء: 8/194.
4 (?) طبقات الشافعية: 2/239.

المعاصـــي، فــإن نارها تحت الرمــاد، وربما تــأخرت العقوبة ثم فجــأت، وربما جـــاءت مستعجلة، فليبادر بإطفاء ما أوقد من نيران الذنوب، ولا ماء يطفئ تلك النار إلا ما كـان من دمع العين[1].

قـال **إبراهيم الـتيمي**: مثلت نفســي في النار: أعالج أغلاها وسـعيرها، وآكـل من زقومهـا وأشــرب من زمهريرهــا، فقلت: يــا نفس! أي شيء تشتهين؟! قالت: أرجع إلى الــدنيا، أعمــل صــالحًا عملا أنجــو بــه من النار... من هـذا العـذاب ومثلت نفسـي في الجنــة: مــع حورهــا وألبس من سندســها وإســتبرقها وحريرهــا، فقلت: يــا نفس! أي شــيء تشــتهين؟ قــالت: أرجــع إلى الــدنيا، فأعمــل عملاً أزداد من الثــواب فقلت: أنت في الدنيا وفي الأمنية[2].

مثل لنفسك أيها المغرور

يوم القيامة والسماء تمور

---

1 (?) صيد الخاطر: 267.

2 (?) حلية الأولياء: 4/211.

إذا كورت شمس النهار
حتى على رأس العباد تسير

وإذا النجوم تساقطت
وتبدلت بعد الضياء كدور

وإذا البحار تفجرت من
ورأيتها مثل الجحيم تفور

وإذا الجبال تقلعت
فرأيتها مثل السحاب تسير

وإذا الوحوش لدى
وتقول للأملاك أين نسير[1]

ونحن في غفلـة... تعجب منها مالك بن دينـار بقولـه: عجبًا لمن يعلم: أن المـوت مصـيره، والقـبر مـورده.. كيف تقر بالـدنيا عينه؟ وكيف يطيب فيها عيشه[2]؟

ولما حضر المـوت **الحسن**، دخل عليه رجـال من أصـحابه فقـالوا لـه: يا أبا سـعيد زودنا منك كلمات تنفعنا قال: إني مزودكم: ثلاث كلمات، ثم قومـوا عـني، ودعـوني لما

1 (?) التذكرة: 244.
2 (?) صفة الصفوة: 3/277.

تــوجهت لـــه، ما نهيتم من أمرفكونـــوا من أترك الناس له، وما أمـرتم به من معـروف فكونـوا من أعمل النـاس بـه، واعلمـوا أن خطـاكم: خطوتـان: خطـوة لكم، وخطـوة عليكم، فـــــانظروا أين تغــــــدون؟ وأين تروحون[1]؟

خطب **عمر بن عبد العزيز** فقال: أما بعــد: فـإن كنتم مؤمــنين بــالآخرة، فــأنتم حمقى، وإن كنتم مكـــــذبين بها فـــــأنتم هلكى[2].

إن من نازعته نفسه إلى لـذة محرمــة، فشــــغله نظـــــره إليها عن تأمل عواقبها وعقابها، وسمع نداء العقل ينـاديــه: ويحك لا تفعـل... فإنك تقف عن الصـعود، وتأخذ في الهبوط، ويقـال لـك: ابعد بما اخـترت، فـإن شــغله هــواه فلم يلتفت إلىما قيل لـــه، لم يزل في نزول[3].

قيل **للشـــافعي** –رحمه اللـــه-: مالك

---

1 (?) حلية الأولياء: 2/154.
2 (?) حلية الأولياء: 5/290.
3 (?) صيد الخاطر: 256.

تكـثر من إمسـاك العصـا، ولست بضـعيف؟ قال: لأذكر أني مسافر[1].

وكـان **عطـاء السـلمي** يقـول: رب ارحم في الدنيا غربتي، وفي القبر وحـدتي، وطول مقامي غدًا بين يديك[2].

أخي التائب:

إذا كثرت منك الذنوب
يرفع يد في الليل والليل
ولا تقنطن من رحمة الله
قنوطك منها في خطاياك
فرحمته للمحسنين كرامة
ورحمته للمسرفين تكرم[3]

---

1 (?) السير: 10/97.
2 (?) حلية الأولياء: 6/224.
3 (?) التبصرة: 1/200.

أضرار الذنوب

اللـــذة المحرمة ممزوجة بـــالقبح حـــال تناولهـــا، مثمـــرة للألم بعد انقضـــائها، فـــإذا اشـــــــتدت الداعية منك إليهـــــــا، ففكر في انقطاعها، وبقاء قبحها وألمهـا، ثم وازن بين الأمرين، وانظر ما بينهما من التفاوت[1].

قال **عبد الله بن عباس**: إن للحسنة: ضــياء في الوجه ونــورًا في القلب، وســعة في الـــرزق، وقـــوة في البـــدن، ومحبة في قلـــوب الخلـــق، وإن للســـيئة: ســـوادًا في الوجه، وظلمة في القـبر، ووهنًا في البـدن، ونقصًـــا في الـــرزق، وبغضة في قلـــوب الخلق[2].

ومن آثار الذنوب والمعاصي ما قاله أبو الـــدرداء: ليحـــذر امـــرؤ أن تلعنه قلـــوب المؤمـــنين من حيث لا يشـــعر، ثم قـــال:

---

1 (?) الفوائد: 248.

2 (?) الجواب الكافي: 99.

تـــدرون مم هـــذا ؟ إن العبد يخلو بمعاصي الله، فيلقي الله بغضه في قلوب المؤمـنين من حيث لا يشعر[1].

والتعب -أخي الحبيب-: بالطاعة ممزوج بالحســن، مثمر للـذة والراحــة، فـإذا ثقلت على النفس، ففكر في انقطاع تعبها، وبقاء حســـنها ولـــذتها وســـرورها، ووازن بين الأمرين، وآثر الـراجح على المرجـوح، فـإن تألمت بالسبب فانظر إلى ما في المســبب من الفرحة والســـرور واللـــذة يهن عليك مقاساته وإن تألمت بترك اللـذة المحرمـة؛ فـانظر إلى الألم الــذي يعقبــه، ووازن بين الألمين[2].

وتفكر أخي الكــريم في نتـائج الـذنب.. وما يســـــببه في قلبك وانظر إلى نـــــور الحسنة، وأتبعها أختها.

قـــال **أبو الحسن المــزين**: الـــذنب عقوبة الذنب، والحسـنة بعد الحسنة ثـواب

---

1 (?) الجواب الكافي: 96.

2 (?) الفوائد: 248.

الحسنة[1].

فـإن الـذنوب والمعاصي تضر ولاشـك، وضـررها في القلـوب كضـرر السـموم في الأبـــدان على اختلاف درجاتها في الضـــرر، وهل في الـدنيا والآخـرة شـرور إلا سـببها الذنوب والمعاصي؟

هــذا ابن عبــاس يحــذرنا من الــذنوب والمعاصــي، فيقــول: لا تــأمنن من ســوء عاقبتـه، ولما يتبع الـذنب أعظم من الـذنب إذا عملته[2].

أخي الحـــــــبيب... أين نحن من هؤلاء؟

قـال **هشام بن حسـان**: كنت أمشي خلف العلاء بن زيـاد، فكنت أتـوقى الطين، قال فدفعه إنسان فوقعت رجله في الطين فخاضه فلما وصل إلى البـاب وقف فقـال: رأيت يا هشـام؟ قلت: نعم، قــال: كــذلك المرء المسلم يتوقى الذنوب، فإذا وقع فيها

---

1 (?) صفة الصفوة: 2/226.
2 (?) جامع العلوم والحكم: 430.

خاضها[1].

والعبد لا يريد بمعصـيته مخالفة سـيده، ولا الجــرأة على محارمـــه، ولكن غلبـــات الطبــع، وتــزيين النفس والشــيطان، وقهر الهوى، والثقة بالعفو، ورجاء المغفـرة، هـذا من جـانب العبـد، وأما من جـانب الربوبيـة: فجريــان الحكم وإظهــار عز الربوبيــة، وذل العبوديــة، وكمــال الاحتيــاج، وظهــور آثــار الأسماء الحسنى: كالعفو والغفـور والتـواب والحليم، لمن جـــــــاء تائبًا نادمًا والمنتقم والعــــدل وذي البطش الشـــديد لمن أصر ولزم المجرة.

فهو سبحانه يريد أن يـري عبـده تفـرده بالكمال، ونقص العبد وحاجته إليه، ويشهده كمال قدرته وعزته، وكمال مغفرته وعفوه، ورحمته، وكمال بره وستره وحلمه وتجاوزه وصـــــفحه، وأن رحمته به إحســــان إليه لا معارضة، وأنه إن لم يتغمده برحمته وفضله فهو هالك لا محالة.

---

1 (?) حلية الأولياء: 2/244.

فلله كم في تقـــدير الـــذنب من حكمة وكم فيه مع تحقيق التوبة للعبد من مصلحة ورحمة[1].

قـــال **ســـليمان الـــتيمي**: إن الرجل ليذنب الذنب فيصبح وعليه مذلته.

أخي التائب:

وإن امرءًا لم يصف لله قلبه
لفي وحشة من كل نظرة ناظر
وإن امرءًا لم يرتحل ببضاعة
إلى داره الأخرى فليس بتاجر
وإن امرءًا ابتاع دنيا بدينه
لمنقلب منها بصفقة خاسر

والتوبة من الـــذنب: كشـــرب الـــدواء للعليل، ورب علة كانت سبب الصحة[2].

اعلمـــوا إخـــواني! أن للـــذنوب تـــأثيرات قبيحـــة، مرارتها تزيد على حلاوتها أضـــعافًا مضـــاعفة، والمجـــازي بالمرصـــاد لا يســـبقه شيء ولا يفوته.

---

1 (?) الفوائد: 88.
2 (?) الفوائد: 88.

والذنوب كما قيل: جراحات، ورب جرح وقع في مقتل[1].

فــرب جــرح قتل ورب عــثرة أهلكت.. ورب فارط لا يستدرك .

كان **الحسن**[2] يقول إذا قرأ: **﴿كَـأَنَّهُمْ يَــوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُــوا إِلَّا عَشِــيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾**.

يقــول: ابن آدم مــا كــان في غــدوة أو روحة ما تصبر على المعصية[3].

إذا أنت طاوعت الهوى

إلى بعض ما فيه عليك

---

[1] (?) الفوائد: 54.

[2] (?) الحسن البصري 149.

[3] (?) شذرات الذهب: 1/165.

نُصح المذنب

سأل رجل **ابن مسعود** عن ذنب ألم به... هل له من توبة؟ فأعرض عنه ابن مسعود ثم التفت إليه فرأى عينيه تذرفان، فقال له: إن للجنة ثمانية أبواب: كلها تفتح وتغلق إلا باب التوبة، فإن عليه ملكًا موكلاً به لا يغلق، فاعمل ولا تيأس[1].

أخي الكريم: كلنا أصحاب ذنوب وخطايا، ولكن خيرنا من يسارع إلى التوبة.. تحثه الخطى وتسرع به الدمعة، ويعينه أهل الخير...رفقاء الدنيا والآخرة.

عن أبي قلابة، أن **أبا الدرداء** مر على رجل قد أصاب ذنبًا، فكانوا يسبونه فقال: أرأيتم لو وجدتموه في قليب ألم تكونوا مستخرجيه؟ قالوا: بلى، قال: فلا تسبوا أخاكم، واحمدوا الله -عز وجل- الذي عافاكم، قالوا: أفلا نبغضه؟ قال: إنما أبغض عمله، فإذا تركه فهو أخي[2].

---

1 (?) الإحياء: 4/16.

2 (?) صفة الصفوة: 1/640، حلية الأولياء:

وكـان رجل على حـال حسـنة فأحـدث حـدثًا أو أذنب ذنبًا فرفضه أصـحابه ونبـذوه، فبلغ **إبـراهيم النخعي**، فقـال: تـداركوه وأعطوه ولا تدعوه[1].

من واجب المحبة والنصيحة عـدم تـرك العاصي يســتمر في معصــيته بل يحــاط بإخوانــه، ويــذكر ولا يهمل فــيزل ويطــرق أبوابًا أخــــــرى... وهنا يكمن الأخ المخلص والصــديق الــوفي.. يحوطه قبل أن تــزل قدمه وتهوي.

قــال **رجــاء بن حيــوة** لــرجلين وهو يعظهما: انظـرا الأمر الـذي تحبـان أن تلقيا الله -عز وجل- فخـذا فيه السـاعة، وانظـرا الأمر الذي تكرهان أن تلقيا الله -عز وجل- عليه فدعاه الساعة[2].

فلله در قوم بادروا الأوقات، واستدركوا الهفــوات، فــالعين مشــغولة بالــدمع عن

1/225.

1 (?) صفة الصفوة: 3/89.

2 (?) صفة الصفوة: 4/214.

المحرمـات، واللسـان محبـوس في سـجن الصمت عن الهلكـات، والكـف قـد كفت بـالخوف عن الشـهوات، والقـدم قـد قيـدت بقيـد المحاسـبات، والليـل لـديهم يجأرون فيه بالأصوات، فإذا جاء النهار قطعوه بمقاطعـة اللـذات، فكم من شهوة ما بلغوها حتى الممات، فتيقظ للحافهم من هــذه الرقـــدات، ولا تطمعن في الخلاص مـــع عـــدم الإخلاص في الطاعات، ولا تؤملن النجاة وأنت مقيم على الموبقات.

شمر عسى أن ينفع
وانظر بفكرك ما إليه تصير

طولت آمالاً تكنفها
ونسيت أن العمر منك

قد أفصحت دنياك عن
وأتى مشيبك والمشيب

دار لهوت بها زهوًا
تسير[1]

أخي الحبيب: اشتر نفسك اليوم فـإن السـوق قائمـة، والثمن موجـود والبضـائع رخيصة، وسيأتي على تلك السوق والبضائع

[1] (?) التبصرة: 1/120.

يــوم لا تصل فيه إلى قليل ولا كثــير... ذلك يوم التغابن –يوم يعض الظالم على يده-.

ويا أخي:

إذا أنت لم ترحل بزاد من

وأبصرت يوم الحشر من قد

ندمت على أن لا تكون

أرصدا[1]

[1] (?) الفوائد: 64.

نماذج من المحافظة على الأعمار

الأعمار تطوى والمراحل تقضـى.. وهي أيـام تمر مر السـحاب... إذا فـات يـوم لم نسـتطع تداركه وإذا زال نهـار أقبل ليل جديد.

كـان **يزيد الرقاشي** يقـول لنفسـه: ويحك يا يزيـد!!! من ذا يصـلي عنك بعد الموت؟ من ذا يصوم عنك بعد الموت؟ من ذا يترضى عنك ربك بعد الموت؟ ثم يقـول: أيها الناس ألا تبكون وتنوحون على أنفسكم بـاقي حيـاتكم؟ من المـوت طالبـه، والقـبر بيته، والـتراب فراشـه، والـدود أنيسـه، وهو مع هـذا ينتظر الفـزع الأكـبر، كيف يكـون حاله[1]؟!!

وهـذا ميمـون بن مهـران، يرفع صـوته بنـداءات حـارة، فيقـول لجلسـائه: يا معشر الشـيوخ ما ينتظر بـالزرع إذا ابيض؟ قـالوا: الحصـاد، فنظر إلى الشـباب، فقـال: يا

1 (?) التذكرة للقرطبي: 10.

معشر الشــباب إن الــزرع قد تدركه الآفة قبل أن يستحصد.

أخي الحبيب... البدار البدار:

وما مضى الشباب

ولا يوم يمر بمستعاد

ويا أخي:

دع عنك ما قد فات في زمن الصبا
واذكر ذنوبك وابكها يا مذنب
واخش مناقشة الحساب فإنه
لابد محص ما جنيت ويكتب
لم ينسه الملكان حين نسيته
بل أثبتاه وأنت لاه تلعب[1]

أخي:

إنما فضل العقل بتأمل العواقب، فأما قليل العقل؛ فإنه يرى الحال الحاضرة، ولا ينظر إلى عاقبتها... فإن اللص يرى أخذ المال، وينسى قطع اليد، والبطال يرى لذة الراحة وينسى ما تجني من فوات العلم وكسب المال، فإذا كبر فسئل عن علم لم يدر، وإذا احتاج سأل فذل، فقد أربى ما حصل من التأسف على لذة البطالة. ثم يفوته ثواب الآخرة بترك العمل في الدنيا.

قس على هذه وانتبه للعواقب، ولا تؤثر

1 (?) ديوان الإمام الشافعي: 47.

لذة تفوت خيرًا كثيرًا وصابر المشقة تحصل ربحًا وافرًا[1].

قال عبد العزيز بن أبي رواد لرجل: من لم يتعظ بثلاث لم يتعـظ بشـيء... الإسـلام والقرآن والمشيب[2].

ألم تك منهاة عن الزهو

بدا لي شيب الرأس

ألم بي الخطب الذي لو

أَلَمْ[3]

قـال **أبو عبد الله القرشي**: سـيروا إلى الله تعالى عرجًا ومكاسير فـإن انتظـار الصحة بطالة[4].

وقال بعضهم: أكثر من يموت الشباب وآية ذلك أن الشـيوخ في النـاس قليـل.. فكن -أخي- على حـذر من أن يفجـأك من لم تستعد له... فتمسي في قبرك بدون زاد... فإن:

سبيلك في الدنيا سبيل

---

1 (?) صيد الخاطر: 613.

2 (?) صفة الصفوة: 2/229.

3 (?) السير: 22/9.

4 (?) وفيات الأعيان: 4/306.

ولابد من زادٍ لكل مسافر
ولابد للإنسان من حمل قاهر[1]

قف يا أخي! حاسب نفسك وكن مثل **محمد بن الفضل** عندما قال: ما خطوت منذ أربعين سنة خطوة لغير الله -عز وجل-[2].

وهذا **خارجة بن مصعب** يقول: صحبت **عبد الله بن عوف** أربعًا وعشرين سنة، فما أعلم أن الملائكة كتبت عليه خطيئة[3].

أخي الحبيب... أين نحن من هؤلاء؟

تمر أيامنا وتنقص أعمارنا ونحن لا نزال في غفلاتنا.. نسوف في التوبة... ونلمح سراب الأمل... وقد قال **أبو سليمان الداراني**: من كان يومه مثل أمس فهو في نقصان.

وكيف لا يكون في نقصان، وهو يقترب

1 (?) التبصرة: 1/35.
2 (?) جامع العلوم والحكم: 930.
3 (?) حلية الأولياء: 3/37.

نحو منيتـه... ويسـير إلى نهايتـه... وهو في تقصير متتابع ولهو، ووقت ضائع.

وحين عـوتب **عطـاء السـليمي** في الرفق بنفسه قـال: أتـأمرونني بالتقصـير، والمـوت في عنقي والقـبر بيـتي، وجهنم أمامي...

ولا أدري ما يصنع بي ربي –عز وجل-[1].

المرء تأكله الليالي الحديد[2]

قال **سعيد بن جبير**: إن بقاء المسـلم كل يـوم غنيمة فـذكر الفـرائض والصـلوات وما يرزقه الله من ذكره[3].

وقال **ميمون بن مهران**: لا خـير في الـدنيا إلا لـرجلين، رجل تـائب، ورجل يعمل في الدرجات[4].

قال ابن الجوزي:

تذكرت في سبب دخول جهنم، فـإذا هو

1 (?) الزهد للبيهقي: 228.
2 (?) وفيات الأعيان: 6/103.
3 (?) السير: 4/326.
4 (?) حلية الأولياء: 4/83.

المعاصي.. فنظرت في المعاصي، فإذا هي حاصلة في طلب اللذات، فنظرت في اللذات، فرأيتها خدعًا ليست بشيء، وفي ضمنها من الأكدار ما يصيرها نغصًا فتخرج عن كونها لذات.

فكيف يتبع العاقل نفسه، ويرضى بجهنم لأجل هذه الأكدار؟

وهي ليست بكثير شيء فكيف تباع الآخرة بمثل هذه[1]؟.

ولا خير في الدنيا لمن لم يكن له
من الله في دار المقام نصيب
فإن تعجب الدنيا رجالاً فإنه
متاع قليل والزوال قريب

قال **رياح القيس**: لي نيف وأربعون ذنبًا، قد استغفرت لكل ذنب مائة ألف مرة[2].

كثرت ذنوبنا فلم نحصها...وقلت ذنوبهم فعرفوها.

---

1 (?) صيد الخاطر: 553.
2 (?) صفة الصفوة: 3/368.

قال **أبو إسـحاق القرشي**: كتب إلي أخي من مكـة... يا أخي! إن كنت تصـدقت بما مضى من عمـــرك على الـــدنيا، وهو الأكـثر، فتصـدق بما بقي من عمـرك على الآخرة، وهو الأقل[1].

وفي حـــديث لتحريك الهمم وشـــحذ النفوس، قال **السـري**: يا معشر الشـباب! جـــــدوا قبل أن تبلغو مبلغي فتضـــــعفوا، وتقصروا كما قصرت... وكـان -رحمه اللـه- في ذلك الـــوقت لا تلحقه الشـــباب إلى العبادة.

وكـان **العلاء بن زيـاد** يقـول: يـنزل أحـــدكم نفسه أنه قد حضـــره المـــوت فاسـتقال ربه -عز وجـل- فأقالـه... فليعمل بطاعة الله –عز وجل-.

ونحن -يا أخي- -أقالنا اللـه- عز وجـل- وأمد في أعمارنا...

وفتح لنا باب التوبة... والإنابة والأوبة... فمـاذا بقي...؟ إنهـا محاسبة النفس، والجد في الطاعة، والإسراع في التوبة.

---

1 (?) الزهد للبيهقي: 175.

تصل الذنوب إلى الذنوب
درج الجنان وطيب عيش
ونسيت أن الله أخرج آدم
واحد[1]

رأيت من نفسي عجبًا... تسأل الله – عز وجل- حاجاتها، وتنسى جناياتها.. نحرص على جمع الدنيا وحطامها وهي سنوات محدودة... ولهونا عن الآخرة وهي الحياة الأبدية، قال رجل **لأبي حازم**: أوصني قال: كل ما لو جاءك الموت عليه فرأيته غنيمة فالزمه، وكل ما لو جاءك الموت عليه فرأيته مصيبة فاجتنبه[2].

وقال الحسن وهو يحكي حالنا: إن المؤمن لا يصبح إلا خائفًا... ولا يصلح إلا ذاك، لأنه بين ذنبين... ذنب مضى لا يدري كيف يصنع الله فيه، وأجل أو قال آخر... لا يدري ما كتب عليه فيه.

وقال -رحمه الله-: لا تخرج نفس ابن

---

1 (?) البداية والنهاية: 9/291.
2 (?) الإحياء: 4/28.

آدم من الدنيا إلا بحسرات ثلاث:

أنه لم يتمتع بما جمع، ولم يدرك ما أمل، ولم يحسن الزاد لما قدم عليه[1].

قال ابن الجوزي:

رأيت الخلق كلهم في صف محاربة، والشياطين يرمونهم بنبل الهوى ويضربونهم بأسياف اللذة.

فأما المخلطون فصرعى من أول وقت اللقاء.

وأما المتقون ففي جهد جهيد من المجاهدة، فلا بد مع طول الوقوف في المحاربة من جراح، منهم يجرحون ويداوون، إلا أنهم من القتل محفوظون، بلى إن الجراحة في الوجه شين باق، فليحذر ذلك المجاهدون[2].

مضى أمسك الأدنى

ويومك هذا بالفعال شهيد

فإن تك بالأمس اقترفت

1 (?) حلية الأولياء: 6/272.

2 (?) صيد الخاطر: 257.

فثن بإحسان وأنت حميد

ولا ترج فعل الخير منك

لعل غدًا يأتي وأنت فقيد[1]

أخي الحـــبيب: قس نفســـك، وانظر مـــــاذا يهمك في هـــــذه الـــــدنيا؟ آمالك وطموحاتك ما هي؟ أهي حطـــام الـــدنيا أم جنة عرضها الســموات والأرض؟! وانظر ما يهمك من أمــر، أهو للآخــرة أم للــدنيا؟ فقد قـال الجنيد بن محمــد: علامة إعــراض الله عن العبد أن يشغله بما لا يعنيه[2].

فلا تشغلك الدنيا بزينتها وزخرفها فإننا:

نسير إلى الآجال في كل

وأيامنا تطوى وهن مراحل

ولم أر مثل الموت حقًا

إذا ما تخطته الأماني باطل

وما أقبح التفريط في

فكيف والشيب للرأس

فارحل من الدنيا بزاد من

---

1 (?) مكاشفة القلوب: 132.

2 (?) صفة الصفوة: 2/418.

فعمرك أيام وهن قلائل

الإنسان خير المخلوقـات إذا تقـرب من بارئه والـــتزم أوامـــره ونواهيـــه، وعمل بمرضـــاته، وآثـــره على هـــواه، وشر المخلوقات إذا تباعد عنه، ولم يتحــرك قلبه لقربه وطاعته وابتغاء مرضاته فمـتى اختـار التقرب إليه، وآثـره على نفسه وهـواه فقد حكم قلبه وعقله وإيمانه على نفسه وشـيطانه، وحكم رشـده على غيـه، وهـداه على هــواه، ومــتى اختــار التباعد منه فقد حكم نفسه وهـــواه وشـــيطانه على عقله وقلبه ورشده[1].

عن مســرور بن الأجــدع قــال: إن المــرء لحقيق أن يكــون له مجــالس يخلو فيها يتذكر ذنوبه ويستغفر منها[2].

وقد كـان **ابن أبي ذئب** الإمـام يجتهـد في العبادة، ولو قيل لـه: إن القيامـة تقـوم غدًا ما كان فيه مزيد اجتهاد[3].

---

1 (?) الفوائد: 225.
2 (?) صفة الصفوة: 3/26.
3 (?) تذكرة الحفاظ: 1/191.

أيأسوني لما رأوا من
أتراهم هم الغفور الرحيم؟
اتركوني وإن تعاظم
إنما يغفر العظيمَ العظيمَ[1]

تـــــأملت في الخلق وإذا هم في حالة عجيبــة، ويكــاد يقطع منها بفســاد العقــل، وذلك أن الإنسان يسمع المواعظ، وتذكر له الآخرة، فيعلم صدق القائل، فيبكي ويـنزعج على تفريطـه، ويعـزم على الاسـتدراك، ثم يتراخى عمله بمقتضى ما عزم عليه.

فـإذا قيل لـه: أتشك فيما وعـدت بـه؟ قـال: لا واللـه، فيقـال لـه: فاعمل فينـوي ذلك، ثم يتوقف عن العمل، وربما مـال إلى لذة محرمة وهو يعلم النهي عنها[2].

قـال **أبو الـدرداء**: تمـام التقـوى أن يتقي الله العبد حـــــتى يتقيه من مثقـــــال ذرة[3].

---

1 (?) جنة الرضا: 1/135.
2 (?) صيد الخاطر: 461.
3 (?) جامع العلوم: 192.

أخي التـــائب: الحـــذر الحـــذر من المعاصــي.. فـإن عواقبها ســيئة، وكم من معصية لا يزال صـاحبها في هبـوط أبـدًا مع تعثير أقدامه وشـدة فقـره، وحسـراته على ما يفوته من الـــدنيا، وحســـرة لمن نالها.

فالله الله في تجويد التوبة عساها تكف كف الجـزاء.. والحـذر الحـذر من الـذنوب خصوصًا ذنوب الخلوات، فـإن المبـارزة لله تعـالى تسـقط العبد من عينـه، وأصـلح ما بينك وبينه في السر وقد أصـلح لك أحـوال العلانية.

ولا تغـــتر بســـتره، فربما يجـــذب عن عورتـــك، ولا بحلمه فربما بغت العقـــاب، وعليك بالقلق واللجوء إليه والتضرع[1].

1 (?) صيد الخاطر: 264.

صور من التوبة

قوافل التائبين تسير... وجموع المنيبين تقبل وباب التوبة مفتوح ودعوة تتلى من آيات القرآن الكريم: ﴿**وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [النور: 31].

دموع التائبين صادقة، وقلوبهم... منخلعة.. يخافون يومًا تتقلب فيه القلوب والأبصار.

قال **عمر بن الخطاب** -رضي الله عنه-: اجلسوا إلى التوابين، فإنهم أرق أفئدة[1].

وذكر أن **الفضيل بن عياض** كان شاطرًا في قطع الطريق، وكان يتعشق جارية، فبينما هو ذات ليلة يتسور عليها جدارًا إذ سمع قارئًا يقرأ: ﴿**أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آَمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ**﴾، فقال: بلى، فتاب وأقلع عما كان عليه، ورجع إلى خربة، فبات بها، فسمع سفارًا

---

1 (?) الإحياء: 4/16.

يقـول: خـذوا حـذركم، إن فضـيلاً أمـامكم يقطع الطريق، فأمنهم واستمر على توبتـه، حتى كان منه ما كان من السـيادة والعبـادة والزهادة، ثم صار علمًا يقتـدى بـه، ويهتـدى بكلامه وفعاله[1].

خل الذنوب صغيرها

وكبيرها ذاك التقى

واصنع كماش فوق أر

ض الشوك يحذر ما يرى

لا تحقرن صغيرة

إن الجبال من الحصى[2]

قال **إبراهيم بن بشار**: قلت لإبراهيم بن أدهم: كيف كان بدء أمرك؟ قال: غير ذا أولى بك، قال: قلت: أخـبرني لعـل اللـه أن ينفعنا به يومًـا، قـال: كـان أبي من الملـوك المياسير، وحبب إلينا الصيد، فـركبت، فثـار أرنب أو ثعلب، فحـركت فرسـي، فسـمعت نــداءً من ورائي: ليس لــذا خلقت، ولابــذا

---

1 (?) البداية والنهاية: 10/226.
2 (?) بستان العارفين: 105.

أمرت، فوقفت أنظـر يمنـة ويسـرة، فلم أر أحــدًا فقلت: لعن اللـــه إبليس ثم حـــركت فرســي، فأســمع نــداء أجهــر من ذلــك: يــا إبــراهيم ليس لــذا خلقت، ولا بــذا أمــرت، فــوقفت أنظــر فلا أرى أحــدًا، فقلت: لعن الله إبليس، فأسمع نداء من قربــوس (حنــو الفـــرس) ســـرجي بـــذاك، فقلت: انبهت، انبهت، جاني نذير، والله لا عصيت الله بعــد يومي ما عصمني اللــه، فــرجعت إلى أهلي، فخليت فرســـي، ثم جئت إلى رعـــاة لأبي، فأخذت جبة كســاء، وألقيت ثيــابي إليــه، ثم أقبلت إلى العــراق، فعملت بهــا أيامًــا، فلم يصــف لي منهــا الحلال، فقيــل لي: عليــك بالشام.

في الذاهبين الأولـ

ين من القرون لنا بصائر

لما رأيت مواردًا

للموت ليس لها مصادر

ورأيت قومي نحوها

يسعى الأصاغر والأكابر

لا يرجع الماضي إلي

ولا من الباقين غابر

أيقنت أني لا محا

لة حيث صار القوم صائر[1]

قال **سلام بن أبي مطيع**: كن لنعمة الله عليك في دينك، أشــكر منك لنعمة الله لعليك في دنياك[2].

وقـالت **عائشة** -رضي الله عنهـا- إنكم لن تلقـــوا الله بشـــيء خـــير لكم من قلة الـــذنوب فمن ســـره أن يســـبق الـــدائب المجتهد، فليكفـ نفسه عن كثرة الذنوب[3].

أخي الحبيب: عليك بلزوم الطريــق والسـير على الجادة

واتق الله فتقوى ما

جاوزت قلب امرئ إلا وصل

ليس من يقطع طرقًا

1 (?) تاريخ بغداد: 2/281.
2 (?) حلية الأولياء: 6/188.
3 (?) صفة الصفوة: 2/32.

إنما من يتق الله البطل

كـان الحسن يقـول: نضـحك ولعل الله قد اطلّع على بعض أعمالنـا، فقـال: لا أقبل منكم شيئًا[1].

فالدنيا خداعـة غـدارة... تـرى منهـا الحسـن... فتلهيـك عن الدار الآخرة... ثم يفجأك الموت على حين غفلة من أمرك...

فلا تغرنك الدنيا وزينتها

وانظر إلى فعلها في الأهل

وانظر إلى من حوى

والكفن[2]

وتأمل –أخي- في قــــــــول **الحسن**: المـؤمن من علم أن ما قـال الله كما قـال، والمؤمن: أحسن الناس عملاً، وأشد النـاس وجلاً، فلو أنفق جبلاً من مــال، ما أمن دون أن يعــاين، لا يــزداد صــلاحًا وبــرًا إلا ازداد فرقًا، والمنـافق يقـول: سـواد النـاس كثـير وسيغفر لي، ولا بـأس علي، فيسـيئ العمل

1 (?) صفة الصفوة: 3/233.

2 (?) موارد الظمآن: 3/492.

ويتمنى على الله[1].

وكان **الربيع بن خثيم** يقول لأصحابه: تدرون ما الداء، والدواء، والشفاء؟ قالوا: لا، قال: الداء: الذنوب، والدواء: الاستغفار والشفاء: أن تتوب ثم لا تعود[2].

أخي الحبيب: جهاد النفس يحتاج إلى: صبر، ومثابرة، وخوف، ووجل، ورجاء، وأمل... لا يتهاون بالصغائر، ولا تؤتى الكبائر.

قال **عمرو بن مرة**: نظرت إلى امرأة فأعجبتني، فكف بصري فأرجو أن يكون ذلك كفارة[3].

أين نحن من هؤلاء؟!

أين من يطلق بصره على محارم الله؟!

من يتتبع الخطوات ويلحظ المسلمات بعين شرهة.. لا يكف بصره ولا يخاف ربه.

تنفى اللذاذة ممن نال

1 (?) السير: 4/586.

2 (?) حلية الأولياء: 2/108.

3 (?) صفة الصفوة: 3/106.

من الحرام ويبقى الإثم

تبقى عواقب سوء من

لا خير في لذة من بعدها

قال أبو حازم سلمة بن دينار في نصيحة أخوية صادقة: انظر إلى الذي تحب أن يكون معك في الآخرة فقدمه اليوم، وانظر الذي تكره أن يكون معك ثم فاتركه اليوم[1].

1 (?) حلية الأولياء: 3/238.

أخي المسلم:

إذا ما خلوت يومًا فلا تقل
خلوت ولكن قل علي رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ما
ولا أن ما تخفى عليه يغيب
لهونا عن الأيام حتى
ذنوب على آثارهن ذنوب

قــال **مالك بن دينــار** -رحمه اللـــه-: رأيت في البادية في يوم شديد الــبرد شـابًا عليه ثوبان خلقان، وعليه آثار الدعاء وأنـوار الإجابة، فعرفته، وكنت قبل ذلك عهدته في البصــرة: ذا ثــروة، وحسن حــال، وكـان ذا مال، وآمال.

قال: فبكيت لما رأيته على تلك الحــال، فلما رآني بكى وبدأني بالسـلام، وقـال لي: يا مالك بن ينــار! ما تقــول في عبد أبق من مولاه؟ فبكيت لقوله بكاء شديدًا، وقلت له: وهل يستطيع المسـكين ذلـك؟ البلاد بلاده، والعباد عباده، فأين يهرب؟

فقــال: يا مالك ســمعت قارئًا يقــرأ: ﴿

يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ. فأحسست في الحـــال بنـــار وقعت بين ضلوعي، فلا تخمد، ولا تهدأ من ذلك اليـوم، يا مالك... أتراني أرحم وتطفأ هذه الجمــرة من قلبي؟

فقلت لــه: أحسن الظن بمــولاك، فإنه غفــور رحيم، ثم قلت لــه: إلى أين؟ قــال: إلى مكة شـــرفها الله تعـــالى لعلي ممن أكون إذا التجأ إلى الحـرم استحق مراعـاة الذمم.

قال **مالك**: ففـارقني ومضـى، فتعجبت من وقوع الموعظة منه موقعها، ومـا تـأجج بين جنبيه من نار التيقظ والإنابة، وما حصل عليه من صدق القبول وحسن الاستماع[1].

فحي على جنات عدن
منازلك الأولى وفيها
ولكننا سبي العدو فهل
نعود إلى أوطاننا ونسلم[2]

---

1 (?) العاقبة: 72.
2 (?) عقود اللؤلؤ: 33.

أخي... طـــال بنا الأمـــل... ومضى بنا التسويف... فماذ ننتظر لنتوب؟

وحالنا وتسويفنا حكاه **أبو حازم** بقوله:

نحن لا نريد أن نموت حتى نتوب، ونحن لا نتوب حتى نموت[1].

لهونا الأيام حتى تتابعت

ذنوب على آثارهن ذنوب

فياليت أن يغفر الله ما

فأتوب[2]

قـال **يـونس بن سـليمان البلخي**: كان إبـراهيم بن أدهم من الأشـراف، وكـان أبوه كثير المال والخدم والجنـائب والـبزاة، فبينما إبـــراهيم في ذلك اليـــوم وهو على فرسه يركضـــه، إذا بصـــوت من فوقـــه... يا إبـراهيم ما هـذا العبث؟ **﴿أَفَحَسِـبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾** . اتق الله وعليك بالزاد ليوم الفاقة.

قال: فنزل عن دابته ورفض الدنيا وأخذ

---

1 (?) أدب الدنيا والدين: 109.

2 (?) حلية الأولياء: 9/220.

في عمل الآخرة[1].

وقال **الفضيل بن عياض** لرجل: كم أتت عليك؟ قال: ستون سنة، قال: فأنت منذ ستين سنة تسير إلى ربك يوشك أن تبلغ، فقال الرجل: إنا لله وإنا إليه راجعون، فقال الفضيل: أتعرف تفسيره؟! تقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، فمن عرف أنه لله عبد وأنه إليه راجع، فليعلم أنه موقوف، ومن علم أنه موقوف فليعلم أنه مسئول، ومن علم أنه مسئول، فليعد للسؤال جوابًا، فقال الرجل: فما الحيلة؟

قال: يسيرة... تحسن فيما بقي يغفر لك ما مضى وما بقي[2].

أرأيت -أخي- هذا الفضل العظيم والإحسان الجزيل... فالتوبة تجب ما قبلها.

بلغت من عمري ثمانينًا

وكنت لا آمل خمسينًا

فالحمد لله وشكرًا له

1 (?) صفة الصفوة: 4/152.

2 (?) جامع العلوم: 464.

إذ زاد في عمري ثلاثينًا
وأسأل الله بلوغًا إلى
مرضاته آمين آمينًا[1]

قـــال **عبد الـــرحمن بن يزيد بن جابر**: كان عبد الـرحمن بن يزيد بن معاوية -خلاًّ لعبد الملك بن مروان، فلما مـات عبد الملك بن مـروان وتصـدع عن قـبره، وقف عليه فقـــال: أنت عبد الملك الـــذي كنت تعدني فأرجوك- وتوعدني فأخافك، أصبحت وليس معك من غـير ثـوبين، وليس لك منه غير أربعة أذرع في عرض ذراعين، ثم انكفأ إلى اللـه، واجتهد في العبـادة، حـتى صـار كأنه شن بـــال، فـــدخل عليه بعض أهلـــه، فعاتبه في نفسه وإضـــراره بهـــا، فقـــال للقائـل: أسـألك عن شـيء تصـدقني عنه قـال: نعم، قـال: أخـبرني عن حالتك الـتي أنت عليها، أترضاها لنفسك؟ قـال: اللهم لا، قـــال: أفعـــزمت على الانتقـــال منها إلى غيرهـا؟ قـال: ما انتصـحت رأيًا في ذلـك،

1 (?) تاريخ بغداد: 5/211.

قـال: أفتـأمن أن يأتيك المـوت على حالك التي أنت عليها؟ قال: اللهم لا.

قال: حال ما أقام عليها عاقل، ثم انكفأ إلى مصلاه.

لبست ثوب الرجا والناس
وبت أشكو إلى مولاي ما
وقلت: يا أملي في كل
ومن عليه لكشف الضر
أشكو إليك أمورًا أنت
مالي على حملها صبر ولا
وقد مددت يدي بالذل
إليك يا خير من مدت إليه يد
فلا تردنها يا رب خائبة
يرد[1]

دخل لص على **مالك بن دينــــار** فما وجد ما يأخذ، فناداه مالك: لم تجد شيئًا من الدنيا، فترغب في شيء من الآخـرة؟ قـال: نعم، قـال: توضـأ، وصل ركعـتين، ففعل ثم جلس وخرج إلى المسجد، وخـرج، فسـئل:

1 (?) عقود اللؤلؤ: 251.

من ذا؟ قال: جاء ليسرق فسرقناه[1]!!

قال **مطرف بن عبد الله**: لأن أبيت نائمًا، وأصبح نادمًا: أحب إلي من أن أبيت قائمًا، وأصبح معجبًا[2].

نسير إلى الله في توبة صادقة وبقلب وجل، عسى الله أن يرحمنا.

يا رب إن عظمت ذنوبي كثرة
فلقد علمت بأن عفوك أعظم
إن كان لا يرجوك إلا محسن
فمن الذي يدعو ويرجو المجرم
أدعوك رب كما أمرت تضرعًا
فإذا رددت يدي فمن ذا يرحم
مالي إليك وسيلة إلا الرجا
وجميل عفوك ثم إني مسلم[3]

أخي... أين نحن من تذكر ذنوبنا وأن ما أصابنا هو بسبب ذنوبنا؟! فقد أغلظ رجل **لوكيع بن الجراح**، فدخل بيته، فعفر

---

1 (?) السير: 5/363.
2 (?) السير: 4/190.
3 (?) صفة الصفوة: 3/171، جامع العلوم والحكم: 477.

وجهه في الـــتراب، ثم خـــرج إلى الرجل فقـال: زد وكيعًا بذنبـه، فلـولاه ما سـلطت عليه[1].

وقـال ابن سـيرين: إني لأعـرف الـذنب الـــذي حمل به علي الـــدين ما هـــو، قلت لرجل منذ أربعين سنة: يا مفلس[2].

رحمهم الله –لقلة ذنـوبهم- عرفـوا من أن يؤتون... ونحن لكثرة ذنوبنا لا نحصـي... ولا نتذكر..!!

قـال **عبـد الـرحمن بن يزيـد بن جـابر**: قلت **ليزيـد بن مرثد**: مـالي أرى عينـك لا تجـف؟ قـال: ومـا مسـألتك عنـه؟ قلت: عسـى اللـه أن ينفعـني بـه، قـال: يـا أخي إن الله قد توعـدني إن أنـا عصـيته أن يسجنني في النار، والله لو لم يتوعـدني أن يسـجنني إلا في الحمـام لكنت حريًـا أن لا تجـف لي عين، فقلت لـه: فهكـذا أنت في خلواتـك؟ قـال: ومـا مسـألتك عنـه، قلت: عسى الله أن ينفعـني بـه، فقـال: واللـه إن ذلـك ليعـرض لي حين أسـكن إلى أهلي،

1 (?) صفة الصفوة: 3/171.
2 (?) صفة الصفوة: 3/246.

فيحـول بيـني وبين مـا أريـد، وإنـه ليوضع الطعام وبين يدي، فيعرض لي، فيحول بيني وبين أكلـــه، حـــتى تبكي امـــرأتي ويبكي صبياننا، ما يدرون ما أبكانا[1].

قدم لنفسك في الحياة

فلقد تفارقها وأنت مودع

واهتم للسفر القريب

أنأى من السفر البعيد

واجعل تزودك المخافة

أسرع[2]

قـــال **ابن ســـيرين**: إذا أراد الله -عز وجـل- بعبـده خـيرًا جعل له واعظًا من قلبه يأمره وينهاه[3].

أخي الحبيب:

خذ من شبابك قبل

وبادر التوب قبل الفوت

واعلم بأنك مجزيٌ

1 (?) حلية الأولياء: 5/164.
2 (?) ديوان الإمام علي: 129.
3 (?) صفة الصفوة: 3/243.

<u>القدم</u>[4]

القلوب التائبة منكسرة بين يدي الله... تسبقها الدمعة... ويحـدوها عفو الله وسـعة كرمـه، وهي قلـوب قـال عنها **عـوف بن عبد الله**: قلب التائب بمنزلة الزجاجة يؤثر فيها جميع ما أصـــــــابها، فالموعظة إلى قلـــوبهم ســـريعة، وهم إلى الرقة أقـــرب، فـداووا القلـوب بالتوبـة، فلـرب تـائب دعته توبته إلى الجنة حـــــــتى أوفدته عليهــــــا، وجالســـوا التـــوابين فـــإن رحمة الله إلى التوابين أقرب[1].

وقال الفضيل بن عياض: كل حزن يبلى إلا حزن التائب[2].

<u>إلهي لا تعذبني فإني</u>

<u>مقر بالذي قد كان مني</u>

<u>ومالي حيلة إلا رجائي</u>

<u>وعفوك إن عفوت وحسن</u>

<u>وكم من زلة لي في</u>

---

4 (?) ترتيب المدارك: 2/461.

1 (?) صفة الصفوة: 3/104.

2 (?) حلية الأولياء: 8/101.

وأنت عليَّ ذو فضل ومنٍّ

يقول ابن الجوزي:

ينبغي للعاقل أن يكـون على خـوف من ذنوبـه، وإن تـاب منهـا، وبكى عليهـا، وإني رأيت أكـثر النـاس قد سـكنوا إلى قبـول التوبة، وكأنهم قد قطعـوا على ذلـك، وهـذا أمر غـائب، ثم لو غفـرت بقي، الخجل من فعلها.

فالحذر الحذر من كل ما يوجب خجلاً.

وهـذا أمر قل أن ينظر فيه تـائب أو زاهـد، لأنه يـرى أن العفو قد غمر الـذنب بالتوبة الصـادقة، وما ذكرته يـوجب دوام الحذر والخجل[1].

قـال **سـلمان الفارسي**: إذا أسـأت سـيئة في سـريرة فأحسن حسـنة في سـريرة، وإذا أسـأت سـيئة في علانيـة، فأحسن حسـنة في علانية لكي تكـون هـذه بهذه[2].

أخي المسلم:

---

1 (?) صيد الخاطر: 502.

2 (?) صفة الصفوة: 1/548.

من نعم الله علينا أن طريق التوبة مفتوح... ليس عليه حجاب ولا دونه أبواب.

إنه بـــاب: أرحم الـــراحمين، وأكـــرم الأكرمين، غافر الذنب، وقابل التوب..

قـــال **أحمد بن عاصم الأنطـــاكي**: هذه غنيمة باردة، أصلح ما بقي من عمرك، يغفر لك ما مضى[1].

فالحمـد للـه الـذي أمهلنـا ومن العيـوب سترنا.. وإلى بابه باب التوبة سيرنا..

قدم لنفسك توبة مرجوة

الألسن[2]

قـال **بعض السـلف**: كـان داود –عليه السلام- بعد التوبة خـيرًا منه قبل الخطيئـة، فمن قضى له بالتوبة كان كما قـال **سـعيد بن جبير**: إن العبد ليعمل الحسـنة فيـدخل بها النـار، وإن العبد ليعمل السـيئة فيـدخل بها الجنـة، وذلك أنه يعمل الحسـنة فتكـون نصب عينيه ويعجب بهـــا، ويعمل الســـيئة

1 (?) الزهد للبيهقي: 228.
2 (?) التذكرة: 53.

فتكـون نصب عينيه فيسـتغفر الله ويتـوب إليه منها[1].

وقـال **مالك بن دينـار**: إن البـدن إذا سـقم لم ينجع فيـه: طعـام ولا شـراب، ولا نوم، ولا راحة، وكـذلك القلب إذا علقه حب الدنيا لم تنجع فيه الموعظة[2].

أخي:

أقبل على صلواتك
كم مصبح وعساه لا يمسي
واستقبل اليوم الجديد
تمحو ذنوب صحيفة الأمس
فليفعلن بوجهك الغض
الشمس[3]

إذا عــزم العبد على السـفر إلى الله - تعـالى- وإرادته عرضت له الخـوادع والقواطـع، فينخـدع أولاً: بالشـهوات، والرياسـات والملاذ، والمنـاكح والملابس،

1 (?) تسلية أهل المصائب: 218.
2 (?) حلية الأولياء: 2/763.
3 (?) أدب الدنيا والدين: 97.

فــإن وقف معها انقطــع، وإن رفضــها ولم يقف معها وصــدق في طلبــه، ابتلي بــوطء عقبــــه، وتقبيل يــــده، والتوســــعة له في المجلس، والإشــارة إليه بالــدعاء، ورجــاء بركته، ونحو ذلك، فإن وقف معه، انقطع به عن اللــه، وكـان حظه منـه، وإن قطعه ولم يقف معه ابتلي: بالكرامــات، والكشــوفات فـإن وقف معهـا، انقطع بها عن الله وكـان حظــه، وإن لم يقف معها ابتلي: بالتجريــد، والتخلي، ولــذة الجمعيــة، وعــزة الوحــدة، والفــــراغ من الــــدنيا، فــــإن وقف مع ذلك انقطع به عن المقصود[1].

وطريق التــــائب طريق فيه مشــــقة، وتحفه المزالق والشهوات، ولكنه يسير إلى رب غفور كريم.

الحســـنة عنـــده بعشـــرة أمثالهـــا، أو يضاعفها بلا عدد ولا حسبان، والسيئة عنـده بواحدة ومصيرها إلى العفو والغفران وباب التوبة مفتــــوح لديه منذ خلق الســــموات

1 (?) الفوائد: 223.

والأرض إلى آخر الزمـــان، إن ربنا لغفـــور شـكور.. بابه الكـريم منـاخ الآمـال ومحط الأوزار، وسماء عطـاء لا تقلع عن الغيث بل هي مـــدرار ويمينه ملأى لا تغيضـــها نفقة سـحاء الليل والنهـــار... إن ربنا لغفـــور شكور[1].

أرحم بعباده من الوالدة بولدها، وأفــرح بتوبة التائب من الفاقد لراحلته، التي عليهـا طعامــه وشــرابه في الأرض المهلكــة إذا وجـدها، وأشـكر للقليـل من جميـع خلقـه، فمن تقــرب إليــه بمثقــال ذرة من الخــير شكرها وحمدها إن ربنا لغفور شكور[2].

يا من يجيب دعاء

يا كاشف الضر والبلوى من

قد نام وفدك حول البيت

وأنت يا حي يا قيوم لم تنم

هب لي بجودك ما أخطأت

يا من إليه أشار الخلق

---

1 (?) عدة الصابرين: 340.

2 (?) عدة الصابرين: 339.

إن كان عفوك لم يسبق بالنعم[1]

ألقى الله –سبحانه- العــداوة بين الشـيطان وبين الملــك، والعداوة بين العقل وبين الهـوى، والعـداوة بين النفس الأمـــارة وبين القلب، وابتلى العبد بــذلك وجمع له بين هــؤلاء، وأمد كل حــزب بجنــود وأعــوان، فلا تــزال الحــرب سجالاً[2].

فشمر –أخي الحبيب- عن همتك.. وبادر نفسك.. فإننا كما قال معاذ بن جبل: إن المؤمن لا يسكن روعه حتى يترك جسر جهنم وراءه[3].

تفكرت في حشري ويوم

وإصباح خدي في المقابر

فريدًا وحيدًا بعد عز

رمينا بجرمي والتراب

تفكرت في طول

1 (?) عقود اللؤلؤ: 197.

2 (?) الفوائد: 78.

3 (?) الإحياء: 4/198.

وذل مقامي حين أعطى كتابيا
ولكن رجائي فيك ربي وخالقي
بأنك تعفو يا إلهي خطائيا

والله تعالى يبتلي عبده المؤمن بما يتوب منه.. ليحصل له بذلك من تكميل العبودية والتضرع، والخشوع لله والإنابة إليه، وكمال الحذر في المستقبل والاجتهاد في العبادة ما لم يحصل بدون التوبة، كمن ذاق الجوع والعطش، والمرض والفقر والخوف، ثم ذاق الشبع والري والعافية والغنى والأمن، فإنه يحصل له من المحبة لذلك وحلاوته ولذته، والرغبة فيه وشكر نعمة الله عليه، والحذر أن يقع فيما حصل أولاً مالم يحصل بدون ذلك[1].

عاد حماد بن سلمة **سفيان الثوري**، فقال سفيان: يا أبا سلمة أترى الله يغفر لمثلي؟ فقال حماد: والله لو خيرت بين محاسبة الله إياي وبين محاسبة أبوي، لأخذت محاسبة الله، وذلك لأن الله أرحم

1 (?) مجموع الفتاوى: 15/55.

بي من أبوي.

قـال **خالـد بن معـدان** مهيبًـا لاغتنـام الفرص واستثمار الأوقـات: إذا فتح لأحـدكم باب خير، فليسرع إليه، فإنـه لا يـدري مـتى يغلق عنه[1].

إذا هبت رياحك فاغتنمها
فإن لكل خافقة سكون
ولا تغفل عن الإحسان
فما تدري السكون متى
وإن درت نياقك فاحتلبها
يكون[2]

قــال **يحــيى بن معــاذ**: لا تســتبطئ الإجابة، وقد سددت طريقها بالذنوب[3].

الله يغضب إن تركت
يغضب[4]

يا أرحم الراحمين نرفـع أيـدي التوبـة...

1 (?) حلية الأولياء: 5/211، السير: 4/540.
2 (?) أدب الدنيا والدين: 202.
3 (?) السير: 13/15.
4 (?) عقود اللؤلؤ: 283.

ونستغفرك من كل ذنوبنا فنحن من التائبين العائدين.. قلوب تخفق وعيون تدمع.

أسير الخطايا عند بابك
يخاف ويرجو الفضل
مقر بأثقال الذنوب
ويرجوك في غفرانها فهو
فإنك ذو الإحسان والجود
لك المجد والأفضال والمن
فكم من قبيح قد سترت
وكم نعم تترى علينا وتتبع
ومن ذا الذي يرجى
تصنع؟[3]

قــال شــيخ الإســلام ابن تيمية رحمه الله: الــذي يضر صــاحبه هو مــالم يحصل منه توبــة، فأما ما حصل منه توبــة، فقد يكون صاحبه بعد التوبة أفضل منه قبل الخطيئة، كما قال بعض السـلف: كـان داود بعد التوبة أحسن منه حــالاً قبل الخطيئــة،

---

3 (?) موارد الظمآن: 1/547.

ولو كـانت التوبة من الكفر والكبـائر، فـإن السـابقين الأولين من المهـاجرين والأنصـار هم خيـار الخليقة بعد الأنبيـاء، وإنما صـاروا كــذلك بتــوبتهم مما كــانوا عليه من الكفر والـــذنوب، ولم يكن ما تقـــدم قبل التوبة نقصًا ولا عيبًا، بل لما تابوا من ذلك وعملـوا الصالحات كانوا أعظم إيمانًا، وأقوى عبـادة وطاعة ممن جـــاء بعـــدهم، فلم يعـــرف الجاهلية كما عرفوها[1].

والمؤمن إذا فعل سـيئة فـإن **عقوبتها تندفع بعشرة أسباب**:

أحـدها: أن يتـوب توبة نصـوحًا ليتـوب الله عليـه، فـإن التـائب من الـذنب كمن لا ذنب له.

الثـــاني: أن يســـتغفر الله فيغفر الله تعالى له.

الثـــالث: أن يعمل حســـنات يمحوها لقوله تعـــالى: ﴿**إِنَّ الْحَسَـــنَاتِ يُـــذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ**﴾.

---

[1] (?) مجموع الفتاوى: 15/53.

الرابع: أن يـدعو له إخوانه المؤمنـون ويشـــــــــــــــــــــفعون له حيًا وميتًا.

الخــــامس: أن يهــــدي له إخوانه المؤمنون من ثـواب أعمـالهم ما ينفعه الله به.

السادس: أن يشفع فيه نبينا محمد ﷺ.

الســـابع: أن يبتليه الله في الـــدنيا بمصـــائب في نفسه وماله وأولاده وأقاربه ومن يحب ونحو ذلك.

الثــامن: أن يبتليه في الــبرزخ بالفتنة والضغطة وهي عصر القبر، فيكفِّر بها عنه.

التاسع: أن يبتليه الله في عرصـــات القيامة من أهوالها بما يكفِّر عنه.

العاشر: أن يرحمه أرحم الراحمين.

فمن أخطأته هـذه العشـرة، فلا يلـومن إلا نفسـه، كمـا قـال تعـالى في الأحـاديث الإلهيات: «**إنما هي أعمالكم، أحصـيها لكم، ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرًا**

فليحمد الله، ومن وجد غير ذلـك فلا يلومن إلا نفسه»[1].

يا أهل لذة لهو لا تدوم
إن المنايا تبيد اللهو واللعب
كم من رأيناه مسرورًا
مغتربًا[2]

قال **يحيى بن معاذ**: مسكين ابن آدم، قلع الأحجار أهون عليه من ترك الأوزار[3].

أخي الحـبيب: الأيـام تمر والسـاعات تسير، ونحن في رحلة إلى الدار الآخــرة قد بـــدأت، فوقتك هو رأس مالـــك، فإضـــاعة الوقت أشد من الموت، لأن إضاعة الــوقت تقطعك عن الله والـــدار الآخـــرة والمـــوت يقطعك عن الدنيا وأهلها.

كيف -يا أخي- يكـــون عـــاقلاً من بـــاع الجنة بما فيها بشهوة ساعة؟[4].

أخي الحبيب:

---

1 (?) تسلية أهل المصائب: 218.
2 (?) شرح الصدور: 217.
3 (?) السير: 13/15.
4 (?) الفوائد: 45.

فياليت أن الله يغفر ما

ويأذن في توباتنا فنتوب[4]

أخي المسلم:

وأنت في طريق التوبة تلمس علامــات صحة التوبة **في أمور خمسة**:

أولاً: أن يكون بعد التوبة خيرًا مما كان قبلها.

ثانيًا: أن لا يزال الخوف مصاحبًا لـه، لا يـأمن مكر الله طرفة عين، فخوفه مستمر إلى أن يسمع البشــرى تأتيــه: **﴿أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾** [فصلت: 30].

ثالثًا: انخلاع قلبــه، وتقطعــه، نــدمًا وخوفًا، وهذا على قدر عظم الذنب.

رابعًا: انكسار وذل، وخضـوع بين يـدي الله.

خامسًا: الازدياد في الأعمال الصــالحة والمداومة عليها.

قال **يحيى بن معـاذ:** للتـائبين فخر لا

---

4 (?) موارد الظمآن: 2/94.

يعادله فخر، فرح الله بتوبتهم.

أخي الحبيب:

حان وقت التوبـة والرجـوع... والإيمـان والخشوع والندم والدموع فاسـكب العـبرات، وادع رب الأرض والسموات..

ولما قسا قلبي وضاقت

جعلت رجائي نحو بابك

تعاظمني ذنبي فلما

بعفوك ربي كان عفوك

الخاتمة

ختم الكتاب بباب في سعة رحمه الله - تعالى- على سبيل التفاؤل بذلك.

فقد كـان رسـول الله يحب الفـأل وليس لنا من الأعمال ما نرجو به المغفـرة، فنقتدي برسـول الله في التفـاؤل، ونرجو أن يختم عاقبتنا بـالخير في الـدنيا والآخـرة كما ختمنا الكتاب بـذكر رحمة الله –تعـالى- فقد قال الله –تعـالى-: **إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِـرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَـاءُ**، وقـال -تعـالى-: **قُـلْ يَا عِبَـادِيَ الَّذِينَ أَسْـرَفُوا عَلَى أَنْفُسِـهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَـةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِـرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**، وقـال تعـالى: **وَمَنْ يَعْمَـلْ سُـوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَـهُ ثُمَّ يَسْـتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِـدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا**، ونحن نستغفر الله - تعالى- من كل ما زلت به القدم أو طغى به القلم، ونستغفره من أقوالنا التي لا توافقها أعمالنـا، ونسـتغفره من كل علم وعمل

قصــدنا به وجهه الكــريم ثم خالطه غــيره، ونستغفره من كل وعد وعدنا به من أنفسنا ثم قصرنا في الوفاء به، ونسـتغفره من كل نعمة أنعم بها علينا فاســــــــتعملناها في معصـــــيته، ونســــتغفره من كل تصـــــريح وتعريض بنقصان نـاقص وتقصـير مقصر كنا متصــفين بــه، ونســتغفره من كل خطــرة دعتنا إلى تصنع وتكلف تزينًا للناس بها[1].

أخي الحبيب:

جعلـــــني الله وإيـــــاك من أهل التوبة والعودة والرجوع والأوبة..

وجمعــني وإيــاك ووالــدينا وأحبابنا في جنـــات عــــدن فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

---

1 (?) الإحياء: 1/578.

المصادر

(1) إحياء علوم الـدين، لأبي حامد الغـزالي – دار الكتب العلمية ط1، 1406هـ.
(2) أدب الــدنيا والــدين للمــاوردي – دار الكتب العلمية.
(3) البداية والنهاية للحافظ ابن كثــــــير – مطبعة المتوسط.
(4) بستان العارفين للإمام أبي يحيى زكريا بن شــــرف النــــووي، تحقيق محمد الحجار.
(5) تـاريخ بغـداد للخطيب البغـدادي – دار الكتب العلمية.
(6) التبصــــرة، لابن الجــــوزي –دار الكتب العلمية، ط1، 1406هـ.
(7) تــذكرة الحفــاظ للــذهبي، دار إحيــاء التراث.
(8) التــذكرة في أحــوال المــوتى وأمــور الآخـرة للإمـام القرطـبي، دار الريـاض، ط 1407هـ.
(9) التــذكرة في الاســتعداد لليــوم الآخـر،

علي صالح الهزاع ط2، 1407هـ.
(10) تـرتيب المـدارك وتقـريب المسـالك لمعرفة أعلام مـــذهب الإمـــام مالك للقاضي عياض مكتبة الحياة.
(11) تزكية النفـوس، جمع د. أحمد مزيـد، دار القلم، بيروت.
(12) تســلية أهل المصــائب لأبي عبد الله محمد بن محمد النبجي، دار الكتب العلمية، ص1، 1406هـ.
(13) جـــامع العلـــوم والحكم- ابن رجب الحنبلي ط5- 1400هـ.
(14) جنة الرضا في التسـليم لما قـدر الله وقضى لأبي يحـــيى محمد بن عـــاص الغرنـاطي- تحقيق د. صـلاح جـرار، دار البشير، 1410هـ.
(15) الجـواب الكـافي لابن قيم الجوزية – تحقيق أبي حذيفة- دار الكتـاب العـربي ط1-1407هـ.
(16) حلية الأوليـــاء وطبقـــات الأصـــفياء للحافظ أبي نعيم – دار الكتاب العربي.
(17) الحسن البصري لابن الجوزي.

(18) ديــوان الإمــام علي، جمعه وشــرحه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية 1405هـ.
(19) ديـوان الإمـام الشـافعي –دار الجيـل- بيروت ط3 1392 هـ.
(20) كتـاب الزهد الكبـير، للإمـام المحـدث أحمد بن حسين الـبيهقي، تحقيـق. تقي الــــــدين النـــــــدوي، دار القلم، ط2، 1403هـ.
(21) كتاب الزهد للإمام أبي عبد الله أحمد بن حنبل، دراسة وتحقيق محمد السعيد بســيوني، دار الكتـــاب العـــربي، ط1، 1406هـ.
(22) الزهر الفـــائح في ذكر من تـــنزه عن الـــذنوب والقبـــائح، محمد بن محمد بن يوسف الجزري، تحقيق محمد بسيوني، دار الكتاب العربي، ط1، 1406هـ.
(23) ســـير أعلام النبلاء للإمـــام الـــذهبي، تحقيق شعيب الأرناؤوط وحسين الأسد مؤسسة الرسالة 1401هـ.
(24) شذرات الـذهب في أخبـار من ذهب،

لابن العمـاد الحنبلي- دار إحيـاء الـتراث العربي.
(25) شـرح الصـدور بشـرح حـال المـوتى والقبـــــور، للحافظ جلال الـــــدين الســــيوطي، دار الكتب العلمية ط1، 1406هـ.
(26) صـفة الصـفوة لابن الجـوزي- تحقيق محمد فـــــاخوري ومحمد رواس- دار المعرفة- 1405هـ.
(27) صـــيد الخـــاطر لابن الجـــوزي، دار الكتاب العربي، ط2، 1407هـ.
(28) طبقـــات الحنابلة للقاضي أبي يعلى، مطبعة السنة المحمدية.
(29) طبقات الشافعية الكبرى لتـاج الـدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي السبكي، دار إحياء الكتب العربية.
(30) العاقبة في ذكر المـــوت والآخـــرة للإمـام أبي محمد عبد الحق الأشـبيلي، تحقيق الشيخ خضر محمد خضر، مكتبة دار الأقصى ط1، 1406هـ.

(31) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن قيم الجوزية، تحقيق محمد عثمـان، دار الكتاب العربي ط2، 1406هـ.
(32) عقـود اللؤلؤ والمرجـان في وظـائف شهر رمضان، إبراهيم بن عبيد.
(33) مجمـــوع فتـــاوى ابن تيمية جمع عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمـد، تصـوير ط1، 1398هـ.
(34) الفوائد لابن القيم – دار النفائس.
(35) مـدارج السـالكين لابن قيم الجوزيـة، دار الكتب العلمية ط2، 1408هـ.
(36) مفتاح دار السعادة لابن قيم الجوزية- مكتبة الرياض الحديثة.
(37) مكاشفة القلوب لأبي حامد الغـزالي، دار إحياء العلوم، ط1، 1403هـ.
(38) منهاج القاصدين، لابن الجوزي.
(39) موارد الظمـآن لـدروس الزمـان، عبد العزيز السلمان، ط13، 1403هـ.
(40) واحــات الإيمــان لعبد الحميد البلالي، دار الدعوة ط4، 1409هـ.

(41) وفيـات الأعيـان وأنبـاء أبنـاء الزمـان،
ابن خلكان، دار صادر، بيروت 1397هـ.

فهرس الموضوعات